القناع

رواية

أحمد عبد الكريم

في سنة 2005مـ، في قرية صندلا، كفر الشيخ. جزءٌ كبيرٌ منها فوق ربوةٍ عالية بها كنوز الأجداد الذين أخفوها بغية البعث الذي يأتي بصاحبه ميسور، كما كان يعتقد المصري القديم.

غير أنَّ صندلا لها خصوصية عن باقي القرى، فهي تتميز بأنه لا يُعلَم عنها شيء، كل يكتم سره وسر غيره، فالغاية عندهم كنوز الأجداد التي تُرِكت لهم، ولأولادهم في غيابة الأرض، وعليهم السعي الحثيث إليها بشتى الطرق، بعيدًا عن أعين الحكومة التي تدَّعي ملكيتها لهذا الموروث الثمين.

بالقرية نقطة للشرطة يتمنون زوالها، وتحل مكانها عمودية فردية، مهما تكن صعبة فهي أرحم من الوضع الذي يعيشون فيه حتى تسترهم من أعين القانون الذي يرون أنه وُضع ليعوق استخراج تلك الكنوز والبحث عن مفاتيح تلك القبور.

أسرة سعدون محمد المصري، متوسطة الحال، لديها قطعة أرض زراعية مساحتها أربعون قيراطًا يعملون فيها، وبيت على مساحة مائتي متر مربع فوق ربوةٍ عاليةٍ أو ما يُسمى «صندلا العالية» تعلو فوق القرية الأصلية بنحو عشرين مترًا، تزخر بالآثار، وعليها خفر من قبل وزارة الآثار، الكل يعطيهم بغية رضاهم، والخير للجميع، يحبون السعة في العطاء خاصة ولو كان هدية الأجداد.

تنقطع لديهم قضية الانتماء، كلُ يسعى إلى المزيد من سعة العيش مع العبارات التي تحمل رسالات الأنبياء في الطهر،

والنقاء. يبكي لو علم أنَّ غيره أخذ أكثر منه في ميراث مَن لا نعلم عنهم شيئًا.

كبير خفر وزارة الآثار في القرية، مجاهد ثروت النعناعي، له باعٌ طويلٌ في هذا الأمر، الكل يرجو رضاه، ويبعدون عن غضبه، هو قاسي القلب، له عيون في كل مكان، يدب في القرية طوال ليله، لا ينام له جفن، هو كالضباع صيدها في الظلام، يلهث خلف الجدران، يبحث عن الغنائم خلف الأبواب، ومَن يُخرجها، وكيف يتخطى الحارث الذي يحرس هذا الكنز، وكيف يكون تصريفها، بعد أن تأتي إليه، وما نصيبه منها، وكيف يعطَى منها ما يريد.

زوج سميحة فرغلي- التي **تحدِّت** الناس كأنها دبلوماسية، بدرجة تفوق الدبلوماسيين في مظهرهم، وفي لباقتهم- لا يُعرف منه شيءٌ، مُبهم يحمل معاني كثيرة، لديها ثلاث فتيات وولد «هدى، فواده، سارة، منير».

هدى زوجة محروس سعيد، رجلٌ فقيرٌ تزوجته في وقت كانت الأسرة لا تعرف عن الخير- الذي لم يكتشف- إلا بعد أن يظهر على صاحبه، وينعم فيه، وليس لهم إلا ما يجود به صاحبه عليهم.

سرعان ما تقدَّم إلى الشرطة للعمل خفيرًا نظاميًّا يريد أي راتب يقتات منه، أو عشقًا لتلك المهنة التي تقربه من السلطان، ولو كان مركزًا بسيطًا، وتم الكشف الطبي عليه، وجاءت النتائج

المعروفة مسبقًا «صحيح.. يصلح لخدمة الوطن»، وجاءت تحريات الأمن العام، أنه «لا يصلح لهذه المهمة».

زوج عمته حسن فرحات صدرت ضده أحكام، فقد كان سارقًا للماشية. ذهب محروس خصيصًا إلى مدير الأمن في جهل لا يدرك عاقبة أمره، وعلا صوته، تروح فين يا صعلوك؟!

أدخلوه السجن، ثلاثة أيام لا يُعلم عنه شيءٌ، حتى جاء الخفير مجاهد مع عضو مجلس الشعب، سليم محمود عن دائرتهم، ليس لهم رتبة تحميهم من بطش الداخلية، متى سطت عليهم، حتى استطاع الدخول على مدير الأمن بشفاعته، هو رجل قليل الكلام، عيناه ثاقبتان، يقرأ من أمامه في يسر وسهولة، وجلسا معًا معه، أجهش محروس بالبكاء:

مدير الأمن: حكايتك إيه؟

محروس: لقد حُرمت من خدمة البلد بسبب زوج عمتي الحرامي.

مدير الأمن: اتكلم بالراحة. كلمةٌ ألجمت الجميع.

محروس: توفي زوج عمتي حسن فرحات، الله يرحمه، ليه الحكومة تنبش في الماضي؟!

نظر إليه مدير الأمن نظرة المتحفز إلى صيد ثمين ماضٍ إليه.

محروس: عمتي نعمات مش حلوة علشان تتزوج حرامي المواشي، ويقول والدي، الله يرحمه، عندما جاء رمضان

الشوادفي، عم حسن فرحات إلى جدي من أجل أن يخطب عمتي لابن أخيه جلس، وجاءت عمتي لم يتكلم، كان جدي لديه فراسة، علم أنَّ العروسة لم تُعجبه، فأخذ جدي يشد منه الكلام، وسأله: ما رأيك في العروسة، دي أكيد زي **بنتك؟**

رمضان الشوادفي: أكيد زي بنتي.

جدي: قول لي ها نجيب دهب بكام؟

رمضان الشوادفي: صلي على النبي ببلاش.

جذب انتباه مدير الأمن إليه.

جدي: هو فيه حاجة النهارده ببلاش؟!

رمضان الشوادفي: يقول في نفسه يا ليته يرفض، وأكون رحمت الواد منها ولو كان حرامي، بس ما يبقاش ضائع من كله، وعاود رمضان الشوادفي الحديث ثانية صلي على النبي ببلاش.

ابتسم مدير الأمن على استحياء.

جدي: صلي على النبي، أنا موافق، وتم الزواج، وأنا أعمل إيه، وتوفيت عمتي، وزوجها، فعلا صوت مدير الأمن بالضحك على ما قال، ورد عليه: القانون هو القانون.

كتم غيظه، وهو ناقم على القانون، ومن يُنفذه- الذي لا يعرفه- كل فترة لها قانون لا يعرفه إلا المقربون من السلطة فهم صناع القرار!

مدير الأمن: وبعدين إنت معاك سيادة النائب، وفيه وظائف كتيرة ما وقفتش على الداخلية. البلد كلها شغل.

عضو مجلس الشعب: كله بتوجهات سيادتك.

مدير الأمن يرفع سماعة التليفون: أنا ها أبعته، أبشر يا محروس، سوف تعمل في الوحدة البيطرية في قريتكم.

عضو مجلس الشعب: ربنا ما يحرمنا منك يا سعادة مدير الأمن، كلنا عايشين في حماية ربنا وأنتم،

وخرجا من عنده، وهما في غاية السعادة، ومحروس يردد: «علينا أن ندفع ثمن زواج عمتي أم تظل عانسًا، وتجعل البيت عقيمًا»، وضاع حلم الخفير، لكنه أصاب بعض الشيء.

فواده زوجة مدحت، مرشد، رجل سُحت بكل ما تحمله الكلمة من معاني البخل المذموم، والمشؤوم، أكرم الناس في الكلام!

يرسل زوجته وأولاده إلى بيت أبيها حتى يأكلوا ويشربوا، ويتمني أن يظلوا هناك كثيرًا، ويعودوا ليلاً، ومعهم طعام الإفطار، ينظر إلى ما عند أبيها على أنه عطاء، الكل فيه سواء، يعمل **تاجرًا** للمواشي، يسرق مَن كان أمامه متى كان في غفلة من أمره، لديه أموال كثيرة ولا ينفق إلا إذا كان مضطرًا رغم أنفه، ويخرج من جيبه على عينه، وأحيانًا يضرب زوجته حين ترفض الذهاب بالأولاد إلى بيت أبيها تارة للراحة منها، وتارة أخرى، حتى يوفر طعامهم.

يقول: لو كنت أعلم أن النسوان بتآكل ياما، ما كنتش تزوجت، لكن الكل يشيل شوية معايا.

سارة زوجة شعبان رشوان، ابن خالتها، نجار موبيليا، والدته هبة رفيق كانت سعيدة بابنة أختها تخدمها وتسير تبعًا لهواها، الخالة بمنزلة الأم، لكن سارة كان لها رأي آخر تريد أن يكون لها بيت تديره على نمط حياتها هي لا على رؤية خالتها، فقد عاشت خالتها فترات كثيرة محرومة من أبسط حقوقها في الحياة، أن يكون لها رأي حتى في اختيار شريك دربها في الحياة، إنما كانت تُجبر على الزواج بحكم التقاليد القاسية، ناهيك عن المعاملة التي كانت تقاسي منها، ليلة العرس التي يتمناها الجميع من أصعب الفترات في حياة المرأة تبكي ليلتها، والرجل يبكي بقية حياته!

وجدت ابنة أختها سارة رافضة الهيمنة أو السيطرة عليها، اشتعل البيت نارًا على أصحابه مع سعة المال دب الخلاف بين هبة رفيق، وأختها أم «هاشم». بدأ الكل يظهر عيوب أخيه ناهيك عن الألفاظ الرنانة التي تحمل الإهانة.

البيت الذي تعيش فيه سارة ملكُ خالتها صاحبة الكلمة الأولي والأخيرة في البيت.

زوجها رشوان بدر، هو الحاضر الغائب أينما تريده زوجته تجده، وإلا الويل، والخلاء مصيره!

شعبان رشوان يعيش في معاناة بين زوجته وأمه.. تارة يرضي أمه، وتارة أخرى زوجته، والحياة عنده سجال يوم هنا، ويوم هناك!

بدأت أمه تصب جام غضبها على البيت، ومَن فيه.. حريق بلا دخان.

أبت سارة أن تعيش في كنف خالتها، وعلى شعبان أن يختار بين زوجته، وابنته «ريتاج» أو أمه.. حاول مرارًا أن تسير بهم الأيام.

كل يوم تزداد الأمور تعقيدًا، وتركت سارة البيت، لتعيش مع أبيها، وتقطعت كل خيوط المودة بين أم «هاشم»، وأختها.

ترك شعبان رشوان البيت وسافر للعمل في دمياط نجارًا، وترك الحال على ما هو عليه، الكل ناقم على الآخر، حتى تهدأ النفوس، وعند عودته من الإجازة يذهب إلى بيت خالته سرًّا يجد سارة تفتح له الباب خلسة، ثم يعود أدراجه في جنح الظلام يجد والدته واقفة في انتظاره بموشح يسر البال!

محمود يدرس في كلية الآثار، دخلها على رغبة أبيه الذي يري أن العلم هو الذي يستطيع أن يدير الدفة في المرحلة المقبلة، والخير عندنا في القرية وفير، وكان سفيرًا لأهل القرية في التسويق، خاصة في الأوراق البردية مع رؤية والده التي أهداها إياه على حداثة سنه، وهو دائمًا ما يستر من يريد الستر، ويسير بمبدأ «إللي عندك أفضل مِن الذي لا يعلم مَن يأخذه!».

الكل يشكِّك في بعضه، كلنا شرفاء ما لم يثبت غير ذلك، ومَن يطمع، فقد خسر نفسه قبل أن يخسر غيره.

ما في باطن الأرض من الآثار لا أحد يعلمه إلا الله وصاحبه. الكنوز هذه ثروة الأجداد ادخروها لهذه الأيام الصعبة، ولكن مَن يسعد بهذا الكنز؟!

كثيرٌ من أهل القرية وجدوا آثارا كانت سببًا في غِناهم، لديهم معتقدٌ بأنَّ الآثار ملكٌ لهم، ومَن وجدها فقد رضي عنه أجداده، ومَن لم يجد فعليه أن يُرضي أجداده بأي طريقة شاء.

البعض يري إشعال البخور في البيت ليلاً حتى يحضِّر الأسياد الذين يحرسون الكنز، حتى يُكشفوا لهم عن بعض الصناديق التي وُضعت فيها ما كان يمتلك المصري القديم، وغيرهم يحلم بأنْ يسعده الحظ، ويجد ما يُريح حياته بضربة حظ تمناها، وإن كان يُخفي ذلك في نفسه حتى لا يُشمِّت فيه غيره، فقد لا يُدرك ما تمنته نفسه، وهو يسير على خطي مَن سبقوه في هذا المعتقد بأنَّه خليفة أجداده الأثرياء، ولن يتأخروا عنه طويلاً إنما هي فترة اختبار لا أكثر من ذلك، ولا أقل، وعليه الصبر والانتظار.

في جانب التبة العالية تتساقط الأمطار، يظهر بريق الذهب الذي أذهب العقول فتُسَخَّرُ الأبدان. يكاد يقتل بعضهم بعضًا لولا الأمل الذي يراود الجميع.

أسرة سعدون مكونة من ستة أفرادٍ: الزوج، والزوجة مبروكة الأحول، التي تكتم سرها، فلا يعرفه غيرها، غاية في الذكاء مع

ما تحمله من الدهاء، لديها أدوات الحفر كاملة كأنها عالمة في الحفريات، كل يوم تحفر بها في جنبات البيت حتى صارت خبيرة في الآثار، عندها حاسة الشم الأثرية ها هنا ينام الأجداد على جسر الذهب، ونحن عراة!

ابنته «هناء» في الفرقة الأولي بكلية الزراعة جامعة كفر الشيخ، كم كانت تحلم بكلية من كليات القمة التي يتم التكليف فيها- يُـعيَّـن الخريج فور تخرجه- بعد مكابدة مع الثانوية العامة التي أرهقتها، وأرهقت غيرها من الأسر المصرية التي تعيش كابوس الثانوية العامة.. لا نبحث عن الإبداع في التعليم، ولكن نحن نسير مع الأوهام!

ولده الثاني، علي، حاصل على دبلوم تجارة يسير بمبدأ «أكل، ونوم يجيب دبلوم، التصحيح بالكوم، ويتخرج، ويريح أهله من مصروفه، ويشق طريقه. الدولة اكتفت عاهات».

لا يعمل، وفي بعض الأوقات يعمل عامل نقاشة خلف معلمه، عمران الطويل، الذي يتناول جميع أنواع المخدرات حتى دواء السعال للمرضى، فقد اعتدي وأمثاله على حقوق مرضى الربو الشعبي فجعلوه مُسكرًا حتى مُنِعَ من الصيدليات!

يعمل ما دام محتاجًا إلى المال، وهو دائمًا محتاجٌ، فصاحب المزاج دائمًا محتاج، يشرب السجاير وألبانجو بطريقة مُقلقة للغاية.. لا هدف في الحياة.

يسير مع الأيام بلا طموح، ولا آمال. الخلاف بينه، وبين والديه دائمًا قائمٌ على أتفه الأسباب. يُريد حياة عالية راقية، ولم يسعَ لها، وهو في ريعان شبابه، والأهل يعقدون عليه كل شيء، وهو بريء من كل شيء. يذهب يشتري المخدرات من القري المجاورة. لا يعبأ بما قد يحدث له، هو مُغيَّبٌ تمامًا مع تناول حبوب الهلوسة، تعرف عليه علامات الإدمان دون أن تحدِّثه.

«سها». البنت الرقيقة المحبوبة في الصف الثالث الإعدادى، متفوقة في دراستها مع الجو الكئيب الموجود في البيت، الأب والام دائمًا على خلاف، العائدُ من الأرض قليلٌ، والنفقة دائمًا في ازدياد، والأب يسير كالبهيمة في رحا الساقية.

تَحلمُ بالخلاص من هذا الجو الذي لايخلو يومًا من الشجار. تحفِّزها ظروفها دائمًا على المذاكرة لعلها تَجدُ خلاصًا من هذا العنت. تَحلُم بعريس ميسور الحال يغنيها عن ذل السؤال كل يومٍ عن مصروف غير موجود، وإن وُجد. وجد بمرارةٍ تُذهبُ حلاوة وجوده، اتخذتها تلك الظروفدوافع للنجاح، وغَيرها يتخذُها دوافع للفشل.

تنجح في المرحلة الإعدادية بمجموع عالٍ ثم تدخل مدرسة التمريض نظام الثلاث سنوات بدلاً عن أن تدخل الثانوية العامة حتى تصير طبيبة مرموقة أو مهندسة، لكنها اكتفت بالقليل. أدركت الحقائق الغائبة عن الأذهان

حتى تدرك وظيفة تأكل منها أو تستطيع أن تُجهِّز نفسها. الصورة أمام عينيها لا يُبشر بخير ابدًا.

«محمود» في الصف السادس الابتدائي، الكل يجد فيه براءة الطفولة التي هي من أجمل مراحل العمر، لا يعي فيها المرء ما يدور حوله من الصراعات، يشتاق إليها الجميع، مرت بهم دون أن يشعروا بها.

يعيشون بجوار الحائط، والخوف من الحائط أن يقع عليهم من أي مكان، البيت الذي يعيشون فيه من الطوب اللبن، ولا تسمح وزارة الآثار بهدم البيت أو بنائه، فالشتاء عليهم قاسٍ، يأتون بمشمع بلاستيك سرعان ما تقطعه الفئران أو القطط، المحصلة أن الأمطار من كل مكان.

تظل الأم طوال ليلها تصنع مخرجات للأمطار، التي تتساقط عليهم، إلى أن تعرَّفت «هناء» على الدكتور ناصر سليمان، أستاذ علم الحيوان في أول محاضرة في سيكشن الحيوان ليُفصْحَ لهم الدكتور عن قريته التي بجوارها وهي قرية بلشاشة مركز قلين، ولكنه يسكن في مدينة كفر الشيخ، فقد ترك القرية من فترة طويلة بعد تعينه معيدًا في الكلية، ويأتي زائرًا أو قد لا يأتي، وبعد السيكشن يَعِدُهم الدكتور بأنَّ اللقاء المقبل سيكون في الزريبة.. يضحك الطلبة على عفوية اللفظ وينصرفون.

«محمد منشاوي» يعمل حلاقًا في القرية، يداعب عقول الزبائن، قبل أنْ يداعب خصلات الشعر، يسير على هوى مَن أمامه، يصلح أنْ يكون رجلاً في المخابرات.

يشتري منك ولا يبيع لك إلا الذي يريدك أن تسمعه منه. حتى تخرج من عنده وكأنك تحدِّث نفسك بصوت عالٍ. يعرف الكبيرة والصغيرة في القرية، زوج «فاطمة فكري»، وهي سيدة بسيطة تحسن مقابلة من يأتي إلى زوجها حتى استرقت قلوب الكثير من أهل القرية، وتأتي إليها بعض الفتيات لعمل ما يلزم من أمور الكوافير حتى يخرجنْ من عندها أكثر إشراقًا، ونضارة مع نضارتهن.

لديها أربعة أولاد «فوزي- نوال- سمير- زاهر» تقوم على تربيتهم أفضل ما يكون. زوجها، إلى جانب عمله حلاقًا، يعطي حقنًا للمرضى وللمواشي، يعمل مع الدكتور نادر خاطر أخصائي الباطنة والقلب.

تعلم منه الكثير حتى تفوَّق على الطبيب في بعض الأمور، وحالفه التوفيق حتى صار طبيب الفقراء الذين لا يجدون ثمن الكشف، أو بمعني ما معهم يكفي الكشف أو الدواء فقدَّم الدواء، مع براعة الحلاق أهل القرية كانوا يلقبونه بـ«الدكتور» يقوم بإجراء جميع الإسعافات الأولية للمرضى، وكان يقوم في أي وقت حتى في منتصف الليل ودائمًا يردد:

«جعلنا الله أطباء المحتاجين»، مع ذلك كان يأخذ بعِلم النفس في العلاج رغم أنه ما تعلم هذا. كان يسمع للمريض كل ما عنده، حتى إنه كان يفكر في تخصيص عيادة لسماع المرضى، وبنظرةٍ ثاقبةٍ رأى أن الشباب سوف يتولى هذا الأمر في المستقبل القريب وأنَّ مهنته هذه سوف تنقرض عن قريب,

وعليه أن يعلِّم أولاده. لديه صيدلية في بيته بها جميع أنواع الأدوية. كانت الناس تعطية فوق ما يريد، فهو لا يطلب إلا القليل، فقط كانت كلمة «دكتور» تسعده، وتمني ألا تفارق بيتهم هذه الكلمة.

كان يأخذ ولده الأكبر، فوزي، معه إلى عيادة الطبيب الذي يعمل عنده؛ ليريه كيف يكون التعليم، وكيف تكون حياته، فعليك أنْ تجتهد مثله، حتى تكون طبيبًا لنفسك قبل أبيك، ويجلسه على كرسي الطبيب قبل مجيئه.

كان يُقرِّب الحلم في عيون ولده، صار فوزي يذاكر ويجتهد حتى دخل كلية الطب, أصبح طبيبًا متخصصًا في أمراض الباطنة والقلب، ثم اشترى له والده شقة في مدينة كفر الشيخ، وتزوج من عايدة عبدالله «صيدلانية»، فتحت في القرية صيدلية وقف فيها اثنان من أبناء القرية، أخذا يبيعان الأقراص المخدرة، وأقراص الجنس. الكل يربح مع صيدلية «الحياة السعيدة»، سعادة واهية تبيع الموت، وتنشر القبح بدلاً من الشفاء..

تري المترنحين في الشوارع، تأسف النفس حين ترى المراهقين، وهم يعانون الأدمان والترنح وعدم القدرة على نطق كلمة سوية تائهين في عالم لا نعلمه نحن، وأخرى في كفر الشيخ، عرف المال لهم عنوانًا، مع استباحة الأبدان.

«نوال» تدرس في كلية التربية. الكل ينظر إليها أنها سوف تكون صاحبة راتب من قريب أو من بعيد. أخذ الخُطَّاب يتهافتون عليها وهي قليلة الجسم متوسطة الجمال. الراتب

المنتظر سوف يُجمِّل كل شيء عندها. في السنة الرابعة تمت خطبتها للأستاذ «ربيع خلفه»، تمنى لها الجميع التوفيق حبًّا في والديْها.

أشار بعض الناس على الحلاق أن يفتح محلاً للبقالة تقف فيه زوجته، وتم بالفعل افتتاح محل البقالة وزاد الرزق، وأشار المقربون منه أن يأتي بالتموين لأهل القرية، فقد كان عند بقال يبغضه الجميع, ويتمنون الخلاص منه بأي ثمن «نبيه الغضبان».

وكانت فكرة صائبة تدفق المال مع رحابة الصدر، وعرف الغنى بعد الفقر، وازداد عليه أكثر فأكثر من السلع المدعمة كثير من الناس لا يأخذ التموين لعدم وجود ثمنه الذي يُجهد الكثير، ومن رحابة هذا الرجل وزوجته أنَّ من جاء يطلب تموين ثلاثة أشهر إلى الوراء يعطية، ومَن ليس معه مال ويريد بعضًا من تموينه يعطية، ناهيك عن الدقيق المدعم الذي يصرَف له لا يجد مَن يأخذه يبيعه، ويقتات منه دون إهدار حق مَن يريد.

ذات يوم يركب في خلف سيارة نصف نقل تحمل السلع التموينية يحرس سلعته من السرقة، والسيارة تمرُّ من أمام عمارة عالية تسقط عليه كرتونة صغيرة وجدها مملوءة بالدولارات. كنز سقط عليه لا يُعلَم صاحبه، ثم ذهب في الصباح يسأل عما جرى أمس في تلك العمارة علم أن هنالك تجارًا للعملة، تم القبض عليهم أمس. عاد إلى بيته يدير هذه الأموال.

بنى البيت أربعة أدوار كاملة، والناس تتمنى أنْ يستمر الخير لديه، فهو ملاذ لهم على جميع المستويات «حلاق- طبيب – بائع - منقذ لمَن طلب أي شيء»، هو يعرف قيمة المعاناة، هو مِن قاع المجتمع، ولم ينسَ يومًا واحدًا.

فرغ الأولاد من التعليم، وعُيِّـن الجميع في العمل الحكومي تزوجت «نوال» من الأستاذ «ربيع خلفه»، مدرس الرياضيات الذي عشقها، وعشق راتبها. عرفت «نوال» نقطة ضعفه، «المال»، وكان الآخر أذكي منها، يبدا نشاطه المركَّز من اليوم الخامس والعشرين في الشهر حتى اليوم العاشر من الشهر الآخر، يأخذ ما لديها. من سوء الطالع عنده أن جاءت الأعذار من بداية جدوله الذي وضعه، فتختل لديه الموازين.

بدأت الزوجة تُمسك على راتبها، وأخذ يتوسل إليها حتى جعلته يقبِّل قدميها، كم هو تعس عبد الدينار، عبد الدرهم!

أعطته ما يريد، لكنْ بفكرٍ جديدٍ، فوالدته تسِيء إليها، وعليك أن تتحرك. هو من أسرة مكونة من والدته «بهية موسى» وأخوته الأربعة، الذين يعيشون من معاش والدهم، فقد كان عاملاً في مركز الشباب والرياضة، ولديهم فدانٌ من الأرض الزراعية ميراث والدته من أبيها.

استقل الأستاذ «ربيع» بزوجته وترك السفينة في عرض البحر، تنوء بها العواصف والأمواج العاتية من كل مكان.

أخوه الأصغر منه «هاشم» فيه من سوء الأخلاق فوق النهاية. يسيء إلى الجميع، وذات يوم تحدث مشاجرة بين «نوال»، وبهية أم زوجها. يخرج «هاشم» إلى زوجة أخيه، وينقذ أمه من بين يد «نوال»، ومضي الحدث، والأم مرَّرت هذا الحدث، لكن «نوال» لها رأي آخر، وعندما عاد زوجها قصَّت عليه الأمر برؤيتها الملائكية البريئة، نزل في ثورة الغضب، واعتدي على «هاشم» بالضرب، والإهانة.

عندما عادت الأم أشارت على أبنائها أن يحملوا العصي لتأديب «ربيع» فلم يعد عندها بالحبيب. صعدوا إليه، وتبدل الأمر تمامًا من التمرير إلى التدمير وبدأ الضرب بلا هوداة.

«نوال» كانت من الناصحين، فقد رأت المقدمات تدور حول الممات. دخلت غرفة نومها واغلقت عليها وتركته فريسة لأخوته، حتى تضع الحرب أوزارها، ودارت رحا المعركة غير التكافئة بقيادة الأم التي سقط ولدها على الأرض، ولم ترحم له استغاثة أو توسل، وهي التي كانت لا تنام حتى ينام، ولا تشبع حتى يمتلئ جوفه.. تبدلت الأحوال!

أمرت أخوته بالإجهاز عليه حتى فارق الحياة، وجاءت سيارة الشرطة لتحمل القتيل إلى المشرحة، واتهمت «نوال» أخوته وأمه بقتله لم يجد المحامي. مفرًّا من أن يشير عليهم أن يحملها واحدٌ منهم، وتطوع «هاشم» ليحمل القضية عن أخوته، وحكم عليه بالإعدام شنقًا، ونُفِّذ الحكم عليه، وأخذت «نوال» تعهدًا عليهم جميعًا بعدم التعرض لها، وظلت في شقتها مع والديها

«هادي- «سلوى» في شقتها تتقاضي معاش زوجها القتيل، ومستحقاته.

«نوال» أصبحت في عزلة، الكل يهابها أو بمعني آخر يخاف أن تصيبه لعنتها التي ثمنها غالٍ..

«مفارقة الحياة»، لم يتعاون معها في أمور الحياة إلا زميلتها في المدرسة، «ميرفت عبد النبي» التي تعمل مدرِّسة، وزوجها «رباح موسى نعمان»، هو الآخر مدرس الذي دائمًا يعاني الحرمان رغم ما معه من المال.

بدأ ينظر إلى «نوال» التي بدأت تلوِّح بالنظرات، ومعها الدريهمات، وبرقت الفساتين، وفاحت الرياحين، وتواعدا سرًّا بعيدًا حتى تقابلا في مساء يوم ماطر.

لم يشعرا ببرودة الجو، فقد التهبت الأشواق بين الاثنين، وارتمي كل منهما في أحضان الآخر.

الاثنان في حاجة إلى بعضهما البعض، وقضي كلٌّ ما يشتهي من الآخر، حتى اتفقا على الزواج بعد إلحاح «نوال»، وألقت ما في جعبتها تشتري سترها.

الخوف أن يكون نبت في الأحشاء ما لم تكن ترجوه. ألح «رباح» في الخلوة بها في المعاشرة، وترك بيته وزوجته، واستأجر شقة بعيدًا عن القرية في مدينة كفر الشيخ، تزوَّج فيها من «نوال»، وقفت «ميرفت ينتابها الجنون، كيف مَن أويناها

تخون، قتلت زوجها، وتقتل صديقتها، وتحرم الأولاد من أبيهم؟! واأسفاه على الصديق الخائن!

الأستاذ «سلامة السناط» مدرس اللغة العربية بالمدرسة الثانوية، زوج «ثريا عثمان» مدرِّسة التربية الفنية، التي تحمل من الرشاقة والأنوثة ما يزيل الهموم. تلقاه في مودة، تخرجه من أي حدة، يصيح في أهل القرية:

«إن هذه الآثار تاريخ الأجداد مَن يبيع تاريخه فلا حاضر له ولا مستقبل، وليست هذه للبيع أو الاتجار فيها»، وكأنه يحدِّث أمواتًا لا ينصتون إليه، يتركون الطريق الذي يمشي فيه، فقد نظروا إلى فكره العقيم عقم هذه الأيام، القديم قِدم أجداده الفراعنة، حين أخفوا تلك الكنوز لأنفسهم، ونحن في أمس الحاجة إليها.

زوجته تناديه: «أنت رجلٌ يحمل رسالة لطلبة العلم، فلا ترهق نفسك، الكل أصمَّ أذنيه، وأعمي عينيه. أرفق بنفسك، هم يعيشون سعداء في بيوتهم، لسنا أنبياء، هذا الزمان كان دائمًا يصرُّ على ما يرى، وعلينا أن نُعلم أولادنا الخير في المجتمع متى صاروا في طريقه»

يعيش عبد القوي محمد على في أسرة متوسطة الحال، متزوج، ولديه ولدان هما عصام و«حسام». يعمل موظفًا في المجلس المحلي. ترك له والده عشرة قراريط لم يجد غير أن يبيعها ويشتري قطعة أرض مباني فضاء يُتاجر فيها، كان يريد الثراء، رغم أنه يري أن الدنيا تشاطره الأحزان.

اشتري هذه القطعة من الأرض وتركها خمس سنوات بعد ارتفاع الأسعار أصبح ثمنها أكثر من عشرين ضعفًا، ذهب ليبيعها بمفرده، لا يقتنع برأي أحد، ولا يسمع إلا صوته يخيَّل إليه دائمًا أنه صاحب الرأي السديد، فما كان من المشتري الحاج «همام خليفة»، الذي اشتراها منه، إلا أن وضع له مخدرًا في العصير، وأسقاه إياه، وألقاه على قارعة الطريق حتى أيقظته الشمس بلهيبها.

عاد إلى البيت يُحدِّث أولاده عن هذا الأمر. ذهب أولاده إلى المشتري في مرض أبيهم، فأعطاهم شريطًا لأبيهم مع امرأة كانت معه، في وضع الرجل المُخجل مع امرأة غير شرعية، عاد الأولاد إلى بيتهم يلجمهم الصمت، وخيبة الأمل تخيم على الجميع، لا احد يعرف الحقيقة. الأولاد لا يريدون أن يُصدقوا أن أباهم بطلٌ من ورق أو رجل أجوف أو لا يُحسن الأمور، فهو القدوة والمثل!

كان يحتاج إلى محامٍ معه، يأخذ ما يأخذ، أو ليبقَ في بيته حتى يأتوا إليه ويشتروا منه ما يريد، وبالسعر الذي يحدده لكنها أقدار، الأولاد في مرض أبيهم لا يملكون شيئًا: الابن الأكبر «عصام» يعمل مدرسًا بالتربية والتعليم، من صدمته في أبيه كفر بكل المعتقدات التي تحيط به.

فقد كان يريد أموالاً تداري ما به من عيوب، فهو كئيبٌ، ورث الكآبة من أبيه أو تكون له ميزة على أقرانه في عبث، انضم إلى جماعة التكفير والهجرة التي أعطته أوهامًا كالمخدر في الطعام،

أو بمعني أصح وضعت له السم في العسل الذي يشتهيه ولا يعلم عواقبه، الكل تجار الدنيا في ثياب الواعظين، المجتمع عندهم كافرٌ حتى الآب والأم.

فهم أشد الناس كفرًا، فهم عشيرته الأقربون، عليهم أن يتبعوه في دعوته إلى الله بلا تفكير، أبوه أبو لهب، أمه زوجة أبي لهب، وما أدراك ما هما. بدأ يهجر المجتمع.. الأم تسعى وتجهز له الطعام والشراب، ثم تكون الإهانة مصيرها.. كم هي أم أغلى من الذهب!

توفي الأب بعد صراع مع المرض، وهو مديون. الأم وحدها لا تتحمل هذا العنت، أخذت تبحث له عن عروسة، الكل يرفض بشدة.

ذهبت إلى أقاربها في «عزبة الثمانين» بجوارهم حتى وجدت عروسة «شرين محمد هجرس» قوية، بمعنى قوية جسمانيًّا، كانت على علاقة عاطفية مع شاب آخر هو «هيثم درويش». اختطفت قلبه من بين الضلوع، تشعله كما تُشتعل الشموع، يُبادلها كل الحب الذي يسعى الجميع إليه ويتمناه.

كان يسابقها في الطرقات حتى ينال بعض النظرات، كانت الفراسة سهام تلك الفتاة، أمسكت عليه حتى إذا لم يكن غيره فلا بئس به حبيب تحت الطلب!

عندما جاء إليها هذا العريس ألقت الحبيب خلف ظهرها، وتركت «هيثم» الذي هو عليها حريصٌ، وقالت «النصيب غلاب»،

ووجدت هذا الأستاذ المحروم تستطيع أن تروِّده هو كالحصان الجامح، وعندها قدرة على التحمل، الأمل معقود عليها أنْ تصلح أمره، أو تُفرغ الكبت والحرمان الذي يعاني منه، فقد عاش ضيق الأفق، أعمى البصر والبصيرة، مع سعة عينيه.

في ليلة الزفاف بعد أن فرغ الجميع، ومضى كلٌّ إلى غايته، قال: «لها علينا بالصلاة».

قالت: «الصلاة لوقتها.. كم تستغرق الصلاة؟». مضى وقت طويل.

شرين: ما وراءك أيها الشيخ العظيم.. ألا تتقدم إلى محرابي أم تخاف حناني؟ ألا تتقدم تجني ورد بستاني؟

عصام: خائف أن يكون لدي ما أخاف منه.

شيرين: لا تقلق أنت رجل صالح.

أقبلَ ناحيتها وكشفت له عن ساقيها، واغمضت عينيها، وارتمت على وجهها في فراشها.

بدا له ما كان عنه في خفاء، فسقط مغشيًّا عليه .

شرين: ما بك، وعند الجد يكون هذا حالك؟!

أخذت تُوقظه. لم تجد مفرًّا من استدعاء الطبيب، بعد البكاء والنحيب.

الطبيب: ليس عنده شيء، إنها رهبة انتابته مما رآه.

اثم استطرد قائلاً: على العروسة أن تأخذه على مهل وروية، وأن ترفق به رفقًا، وتشفق به إشفاقًا، فقد عاش محرومًا كثيرًا.

ظلَّ يتمتم في صلاته ثلاثة أيام، والأعلام منكَّسة، حتى خُيِّل إلى زُوجته أنَّه كلامٌ مفرغ من معناه، وجاء يوم بعد الثلاثة أيام، يُظهر سيفه ويُعد جيشه إلى مرحلة العبور، بعد مرحلة الضعف والضمور، وأصبح الكل بذلك في سرور.

يعود إلى أعوانه، الذين أضلهم الله على جهلٍ، الذين أُفسد أمرهم، يحكي عن بطولات واهية!

أول القصيدة كفر.. قامت بالاعتداء على والدته بالضرب المبرح.. قوية قوية!

الكلام لك يا جارة.

لم تجد الأم إلا الاستسلام من أول جولة دون الدخول في جولات خاسرة، لقد انتصرت عليها بالضربة القاضية. الولد الذي يحمي الأم، وجدناه هو الذي يعطي الأوامر، للقوات بأنْ تتحرك وتتقدم على الأرض، محرزًا نتائج هائلة على أهله، ومَن تسول له نفسه!

ظل يحتمي بها، لها القدرة على النصر متى تريد، وعلى جميع المستويات.

مباحث أمن الدولة تأتي إلى القرية مدججة بالسلاح كأننا في حربٍ، كل هذا من أجل هذا الغبي، كم تخسر الدولة على مثل هؤلاء دعاة الظلام؟!

وتنتظر الشرطة كلمة واحدة من هذه الناحية، الأم تكظم غيظها، وتخاف على ولدها، وهو يزداد في غيه، معه قوة القتل الثلاثية التي أُضيفت إليه.

لم تجد الأم مفرًّا من أن تبيع بعض القراريط التي ورثتها عن أبيها، وتهرب بالولد الثاني خوفًا عليه من أخيه، فتشتري بيتًا بعيدًا عنه ليكمل دراسته في كلية التجارة قسم المحاسبة حتى انتهت دراسته، وخرج عصام مهاجرًا إلى أهل زوجته يدعوهم إلى عبادة الله الأحد، الفرد الصمد.

وإذا بأهل زوجته يرفضون هذه الدعوة الجديدة المملوءة بالغلظة والجفوة ونسي أن الله تعالى قال لمَن يسير على نهجه «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» آل عمران «159».

فقد كانوا يشربون المعسل بشراهة، ومن الأمور التي آثارت حفيظة أهل زوجته، أنه طالبهم بتقطيع خراطيم الشيشة التي يقضون فيها وقتًا طويلاً وصارت عندهم من المفاخر، ناهيك عن الصوفية، والدروشة التي يتيهون فيها، والعمم الخضراء. أخرجوه من بيوتهم بالضرب على أم رأسه، بالخراطيم التي كانت لديهم، فما كان منه إلا أن اتهمهم بالكفر الذي يخرج العبد من الملة.

«عصام»: إنها عزبة كافرة، ولن يهتدوا أبدًا. سيدخلون جهنم إن شاء الله. الرصيد الاستراتيجي لديهم من المعسل يكفي مصر لمدة تزيد على خمس سنوات كاملة دون تحديث!

توفيت الأم. لم يُصلِ عليها، كم كانت مفرطة في الصلاة!

«حسام» إذا بزميله «هاني «منصور» الذي يعمل مدرسًا للحاسب الآلي يأتي إليه بعقد عمل في دولة الإمارات العربية عن طريق رجل اسمه «مبروك أبو مندور».

تقدم «حسام» لتلك الوظيفة ودفع له مبلغًا كبيرًا من المال في وجود صديقه «كارم مدبولي» الذي يعمل مدرسًا في الأزهر الشريف، من أسرة متوسطة الحال لا يعنيها أكثر من لقمة الخبز والستر، ثم جاءت مسابقة في التربية والتعليم تم تعيين «حسام» فيها.

ذهب يطلب العقد الذي وُعِدَ به أو الأموال التي دفعها إليهم، ناهيك عن الهدايا التي دفعها، وأخذ صديقه «كارم مدبولي» معه هذه المرة بعد أن تغيرت الوجوه دخلا معًا شقة فارهة على شاطئ البحر في دسوق، وبنظرة فاحصة من صديقة «كارم» أيقن أن المجيء اليوم وراءه شيء غير مطمئن. خرجت عليهما ابنته جميلة الجميلات، أشار عليه صديقه «كارم» بأن يتزوجها. خرجت ثم عادت بفستان سواريه لكن القلق يسيطر على صديقه، فهذا وضع لا يريح النفس.

أسلم حل له أنْ يتزوج ابنته، ونكمل على الأموال بقية المهر، وعاد الاثنان إلى مكانهما، وبدأ الحوار مع «مبروك أبو مندور» في مسارات مختلفة ظلوا في سجال، حتى خرجوا من تلك الموقعة بسلام، فما كان من الأستاذ «حسام» إلا أن أقام عليه قضية نصب في الشرطة بشهادة زميليه.

وكعادة المحامين في النصب واللعب بعواطف البشر، أوهمه المحامي بأنه يستطيع إخراجه من هذه الورطة بأقل خسائر، وعليه أن يتقدم إلى النيابة ببلاغ يتهم فيه «حسام» وزميله ««كارم» باغتصاب زوجته، والتركيز على «كارم». «حسام» رجل طيب مكان ما يوجد ينام، وإذا وقف أعزل ستكون الخسارة قليلة أو البراءة.

رفضت الزوجة «هدايا يونس» موضوع الاغتصاب خوفًا على بناتها، لكنها وافقت على الاعتداء عليها بالضرب في وجود ابنتها «لبنى» التي هي مصدر نجاح تلك العملية، وعليها التدريب المسبق على ما تقول.

أخذت «لبنى» تحت رعاية أبويها على الاتقان، والبكاء قبل الوقوف أمام وكيل النيابة تمهيدًا للمرحلة المقبلة، واجادت في براعة كل هذا في مرحلة الإعداد، وتقدَّمت ببلاغ للنيابة.

أَمَرَ وكيل النيابة بإحضار المتهميْن عن طريق قسم الشرطة.

ذهبت الإشارة إلى البيوت بسرعة البرق للحضور أمام المباحث، بعد انتهاء اليوم الدراسي.

ظنَّ «كارم» و«حسام» أنَّ هذه الإشارة تأتي إليهما لأنهما عضوان في جمعية خيرية، مجرد ساعة، ويعودان إلى بيتيهما، ودخلا على مساعد المباحث الذي لقيهما بالترحاب أنتما الذان فعلتما بالمرأة وابنتها الفحشاء؟ أُصيب الاثنان بالذهول!

وعلا صوت مساعد المباحث في مكتبه: إنه صاحب العفة، وهؤلاء هم السوقية الذين يرتدون ثوب العفة، والناس تقدسهم، وهم يدنسون ثياب الأبرياء.

تلك العبارات الرنانة أفاق إليها الأستاذ ««كارم»، فقد كان يعمل مدرسًا ويعتلي المنبر، ويقيم الندوات الدينية في مساجد المحافظة، وقد يكون واحد من الحاضرين صلى خلفه، فقد كان يجول بالخطابة في مساجد كثيرة واعطى بعضَ طلاقة اللسان، وسحر البيان.

«كارم»: الكلمة التي تقولها سوف تُعاد أمام وكيل النيابة، أُلجِمَ مساعد المباحث، وترك ما كان في يده، وأمر العسكري أن يصطحب الاثنين إلى النيابة للعرض فورًا.

خفض الكلام وبدأ يهمس بالكلمات أنه كان يضحك معكم، وطلب من «كارم» ألا يحدِّث وكيل النيابة عما قال، وأنتم لن تخرجوا من النيابة، وسينهي الإجراءات بسرعة وتعودن إلى بيوتكم، ومدارسكم، وطلب من العسكري أن يحسن معاملتهم.

«حسام» يلتزم الصمت. براءة الأطفال في عينيه، والغم بيديه!

قبل أن يخرجوا من عند مساعد المباحث يخرج العسكري اثنين من الكلابشات.

العسكري: أخرجوا إيدكم يا أساتذة علشان أشوف مقاسات إيديكم الحلوين في الأساور دي بنظرة ثاقبة. تملك الخوف الاثنين ثم انتبها بسرعة..

«كارم»: هو إحنا قتله علشان نتكلبش؟!

مساعد المباحث، في زهو وانتصار فقد ابتلع ريقه وبدت علامات النصر تظهر على ثنايا الوجوه الكالحة: مش إحنا إللي نقول هذا يا أساتذة.

«كارم»: هو دا حُسن المعاملة إللي بتقول عليها؟!

مساعد المباحث: القانون هو القانون.

واصطحب العسكري الاثنين من مكتب المباحث مكبلْين في الكلابشات كأنه في أيديهما متفجرات تكاد تصعقهما.

«كارم»: لو سمحت يا حضرة الصول. إنت اسمك إيه؟

العسكري: فريد أبو المجد.

«كارم»: أنا عندي حل لك، تفك الكلابشات، وتأخذ عشرة جنيه.

العسكري: أنتم كدا ها تضروني.

«كارم»: إحنا ما يرضيناش الضرر.

العسكري: يمد يده بسرعة.. أمري لله هات العشرة جنيه، وانطلقوا إلى النيابة، ومن سوء الحظ لم يجدوا وكيل النيابة، فلم يأتِ في الفترة المسائية ليعود العسكري بهم.

العسكري: إيه رأيكم يا أساتذة.. نكلبش ولا عشرة جديدة؟!

«كارم»: ندفع. ويعودان إلى قسم الشرطة، ويدخلان غرفة الحجز. النوم على البلاط، دورة مياه بلا باب، إذلال للنفس البشرية لمَن يأتي إلى ضيافة القانون، المريض الذي يحتاج إلى أصحاء حتى يظهروه!

وجد «كارم» «عبد الغفور شحاتة» من القرية يستقبله سأله «كارم»: ما الذى أتى بك إلى هنا.

«عبد الغفور»: أنا متهم في سرقة مواشي إسماعيل الجوهري. المباحث عوزاني أشيل الشيلة وتريَّح نفسها من البحث عن الحرامي، وتريِّح نفسها من الموضوع ده.

«حسام» يُحلق بعينيه في جنبات غرفة الحجز، وكأنه وجد كنزًا ثمينًا، وجد رجلاً ملتحيًّا تقدَّم نحوه، وجلس بجواره، وأخذا يتحدثان معًا إلى أن تعارفا على بعض.

«حسام» قصَّ عليه الامر، وتعرفوا على بعض بعد فك رموز الشفرة بينهما

الملتحي: الأخوة يدفعون لك ما تريد. لا حاجة لنا إلى المال. أخوك رجلٌ مجاهدٌ له باعٌ طويلٌ مع المجاهدين، كم قتل من الزبانية ولم يُمسَك عليه شيءٌ.

«حسام»: اصمت، قد يكون المكان فيه مخابرات. أخذ الملتحي يحكي له سبب مجيئه إلى هنا. نظر بعينه الثاقبة، وحدَّثه بصوت منخفض:

لقد كنت في مهمة قتل أحد زبانية النظام، ولم يبخل على الأخوة بأي مال، فقد تركوا لأولادي مالاً كثيرًا ووعدوني بالجنة العالية التي لا تُسمَع فيها لاغية.

«حسام»: هنيئًا لك.

أجهش الملتحي في البكاء، وخضَّب لحيته بالبكاء، وقال: إنِّي قليل الحظ، لم أنل الشهادة! لقد وضعت عبوة ناسفة في سلة قريبة من منزل بيت ضابط في أمن الدولة «مروان بخيت» أتعب الأخوة، كان يصعقهم بالكهرباء، عند نزوله أفجِّر هذه العبوة عن بُعد، لقد أدركتنا التكنولوجيا ووفرت علينا كثيرًا من الشهداء حتى ينالوا خير الدنيا والآخرة، وإذا بامرأة لا أعلم من أين أتت تأخذ السلة لتبيعها، وتأتي بثمنها خبزًا لأولادها، ذهبتُ لأشتريها من صاحب القمامة الذي اشتراها، أعطيته فيها خمسين جنيهًا، قام هذا الغبي بعد أن أخذ الخمسين جنيهًا بالإبلاغ عني، وجئت إلى هنا. الأخوة لم يقترب أحدٌ مني، ولكن جاءتني رسالة فحواها «لا تخف، ولا تعترف على أحد نحن وراءك في كل مكان، سيتم خلاصك اليوم».

«حسام»: لا تقلق لن يفلت من الأخوة.

الملتحي: لقد علمنا أنَّ الجنة ثمنها غالٍ.

«كارم» لـ«عبد الغفور»: إذا لم يتم الصلح عندما أخرج من هنا، عليك أن تتهم زوج ابنته «ماهر عطية» معك في السرقة هو يعمل تاجرًا للمواشي، وسأعود إليك فور خروجي من هنا، إذا لم آتِ إليك فعليك أن تعترف عليه أنه هو الذي خطَّط، وأخرج المواشي من البيت، وأنه هو الذي ترك الباب مفتوحًا، ففي المساء كان عندهم في البيت، وهو أدرى الناس بمفاتيح البيتن إنما أنا سائقٌ حملتها، ولم أعلم أنها مسروقة، وليكن ما يكون.

بكى «عبد الغفور» على كتف «كارم»، ونام جزءًا قليلاً من الليل.

«عبد الغفور»: لقد رأيت هنا ما لم أره طوال حياتي: إهانات وضرب طوال الليل، كلٌ يأخذ طريحة من الضرب بي، لا رحمة، سأقتلهم إن خرجت من هنا ثانية، وهطلت الدموع من عينيه.

«كارم» يمسح بيده عليه برفق مواسيًّا إياهز

ونام «عبد الغفور»، وحين يسمع صوت دبيب يقوم من نومه مفزوعًا ينتظر المجهول الذي يعلم أنَّه في انتظاره، وبعد سويعات قليلة دخل الحجز مجموعة يبكون إلا شابًا في ريعان شبابه يتمتع بنسبة عالية من الوسامة.

«كارم» أخذه بجانبه وسأله ما هذا، وما اسمك؟؟

الشاب: اسمي «أسامة إبراهيم»، أعمل مدرسًا للغة الإنجليزية بمدرسة كفر الشيخ الثانوية، أُتُّهمنا باغتصاب فتاة، وأنها أصبحت حاملاً في ثلاثة أشهر.

«كارم»: ماذا فعلتم عند ضابط المباحث.

«أسامة»: أقسمت لضابط المباحث أني لم آتِ إليها، وإذا صممت تلك الفتاة على ذلك أكتب عليها، وأخرج من هنا وأطلقها على الفور، لذلك لم يأتِ أحدٌ من المباحث تجاهي. هي هنا في الحجز في غرفة النساء أرسل إليها ضابط المباحث بعد مداعبة المباحث لها، وكانت المباحث سخية معها اعترفت أنني لم آتِ إليها، ولكنها كانت تريد أن تلتصق برجل ذي كرامة تستطيع الزواج بعده، لا يهمها الأبرياء، هي ضائعة تبحث لنفسها عن مَخرج.

«كارم»: هل يعقل أن تتهمك، ولماذا أنت؟!

«أسامة»: من سوء الحظ أنها تحبني، ليتها تحدثت إليّ قبل ذلك، كنت أول مَن يحافظ عليها.

«كارم»: ومن الحب ما قتل.. ماذا ستقول لتلاميذك بعد أن أُذيع هذا الأمر في المدرسة؟!

«أسامة»: والله ما أنا عارف أقول إيه وأعيد إيه؟! ربنا يفكها زي ما هو عايز.

«كارم»: بكرة تعلم تلاميذ أن الطريق أمام أصحاب الرسالات ليس مفروشًا بالورود، وأنَّ الجهل يطارد العلم، فهما نقيضان في الحياة، وأجلس «أسامة» بجواره.

استدعى «كارم» رجلاً منهم أرعنًا غير مستوى الملامح، جعل يده على رقبته من كثرة الضرب علا صوته: غنت عاوز إيه؟!

استيقظ «عبد الغفور» من غفلةٍ خفيفة.

«عبد الغفور» أشار إليه: كلم سيادة الضابط زي الناس، ولا يطلَّعك تأني عند المباحث.

جلس يبكي أمام «كارم»:

اسمي: «بسيوني كريم» هي مرة واحدة يا بيه. أعمل إيه؟ هي التي أتت إليّ في الحقل، وأخذت تجرني في الكلام حتى ضعفت، وفعلت، وأنا غلطان. زوجتي من أشرف النساء، ولا أدري هل تغفر لي زوجتي أم يُهدم البيت في غلطة ما كنت أقصدها ولم أسعَ إليها؟، ودا كان من زمان المهم يا بيه مين إللي ضرب البذرة؟!

«كارم» يضحك: المهم إللي ضرب البذرة.

«عبد الغفور»: عاوز منه حاجة ثانية يا بيه؟

«كارم»: خلاص بس ليا رأي، لو واحد يتزوجها، وتعطوا له مبلغ.. إيه رأيكم؟

«بسيوني كريم»: إللي تشوفه يا بيه، كل إللي تطلبه، المهم عيالي ما يعرفوش إن أبوهم عمل حاجة تغضب ربنا، وما سترهاش عليه.

«كارم»: روح نام، والصباح رباح.

«بسيوني كريم»: الموت أهون عندي من فضيحة أولادي، كلك متزوجين من بيوت محترمة أنا ما استحقش أبقى أب لكلب من كلاب الشوارع!

إزاي ابقى أب لناس محترمين. ساعدني يا بيه، ويبكي.

«كارم»: قبل الصبح تكون محلولة إن شاء الله.

«عبد الغفور»: عاوز مين يا بي، أشار «كارم» إلى شاب صغير أتي إليه.

«كارم»: اسمك إيه.

اسمي «نعيم هاني» في الثانوية العامة.

«كارم»: كم مرة فعلت، ولاَّ مرة واحدة أنت الآخر؟

«نعيم»: كتير وكتير يا بيه.

«كارم»: متى فعلت آخر مرة؟

نعيم: قبل أن يقبض علينا بساعات.

«كارم»: هل ستعود لذلك مرة ثانية؟

نعيم: لولا إننا في الحجز لذهبت إليها. لم أعد أستطيع الاستغناء عنها. إنها جميلة، وتعطيني كل شيء، ما وجدت امرأة مثلها في الدنيا. إنها أجمل امرأة

«كارم»: هل عاشرت امرأة غيرها؟

«نعيم»: لم ولن أحب غيرها.

«كارم»: ماذا قلت للبيه في المباحث؟

«نعيم»: قلت لهم ما قولت لك بالحرف الواحد، أنا ما استغناش عنها أبدًا.

«كارم»: ماذا قال لك البيه؟

«نعيم»: قال ونعم التربية والتعليم.

«كارم»: اتفضل ارجع مكانك.

رجع، وهو في غاية السعادة.

«كارم»: أيقنت أنَّ هذا هو الذي يحمل القضية كاملة.

«عبد الغفور»: عاوز حد تأني يا بيه؟

«كارم» أشار إلى رجل كبير في السن أتى مسرعًا: نعم يا بيه.

«كارم»: اسمك ايه؟

أجاب: رجب شعبان رمضان

«كارم»: بتهزر وحياة أمك؟!

رجب: ما لكش دعوة بأمي لو إنت وزير الداخلية.

«كارم»: أخرج من جيبه صورة بطاقته الشخصية.

«كارم»: نظر فيها أنا آسف أنت لك كل حقوق الشرفاء.

رجب: ولا يهمك يا بيه أنا عارف إن اسمي عامل مشكلة مع الناس كلها، وضحك: أمال لو عرفت بقية اسمي!

«كارم»: إيه بقية اسمك.. رجب شعبان رمضان شوال؟ وعلا صوت «كارم» بالضحك.

«كارم»: إنت جبت ثلث السنة الهجرية..

«عبد الغفور»: الداخلية ها تفكر إنك بتساعد الناس على الجريمة.

«كارم» انتبه إلى قول «عبد الغفور» اخفض صوتك: أمال مشكلتك إيه مع الست دي؟

«رجب»: توفيت زوجتي منذ فترة طويلة، وطلبت من أولادي الزواج، قولت لهم تحمَّلتُ مرض أمكم فترة طويلة قبل وفاتها، وهذا حقها عليّ لا أمُنُّ عليها. لقد تحمَّلتْ معي الكثير.

ذهبت إلى العراق عدة سنوات كانت أشرف النساء حتى صرنا أغنياء ليتنا ظللنا فقراء كما كنا.

أولادي ينظرون إلى زواجي أني أستطيع الإنجاب، ولا وريث عندهم بعد اليوم، كل حسب حساباته، ولن يقبلوا القسمة على أي فرد جديد حتى، ولو كان أخوهم أو زوجة أبيهم يذهب أبوهم إلى الجحيم، لدرجة أنهم قالوا لمَن أذهب إليها لا تتزوجيه، ومَن تتزوجني سوف يقتلونها، إلى أن ظهرت تلك الفتاة في حياتي أريد أن أفضح أولادي في الدنيا كلها.

أولادي يحرِّمون عليّ شرع الله. سأتزوج تلك الفتاة حتى ولو لم يكن الذي في بطنها ولدي.

وافق جميع مَن في الحجز وتبرعوا بما يريد من أجل أن يتزوجها إلا نعيم:

إني أحبها، ولن يتزوجها غيرى.

وأمسك هذا الشاب الصغير بثوب رجب:

سأخبر أبي بذلك، وإن تزوجتها سأقتلك.

«كارم»: كل واحد يروح مكانه. أنتم ذاهبون إلى النيابة في الصباح.

«عبد الغفور»: كفاية هذه الليلة سعادة البيه أرجوك لا تظلم أحدًا في هذا الموضوع.

«كارم» فطن إلى ما يريد «عبد الغفور»، وجاء رجل قصير القامة قال في همس:

اسمي «نبيل»، متزوج. أنا عاشرت تلك الفتاة، لكن ليس الولد ولدي لأنني لا أنجب، ولكنّ زوجتي منذ عرفت أني لا أنجب، وأصبحت محرَّمة عليّ، وهذا ليس بيدي إنما هي إرادة الله. علمتُ من واحد منهم أنْ هذه الفتاة ليست بنتًا، دعوتها إلى نفسي ولها ما تريد، أعطيتها ما تريد حتى أشعر بأني رجل مثل الرجال الأسوياء.

أرجو أن يكون هذا الولد ولدي حتى ولو كانت أمه عاهرة. أقبلها من أجل هذا الولد، وارحل بها بعيدًا عن الدنيا. أرجوك خليك معايا يا بيه.

«كارم»: ارجع مكانك في الصباح إللي يعمله ربنا هو إللي ها يكون.

في أركان الغرفة اثنان مفترقان دعاهما «كارم» إلى الحديث معه. لم يجيبا إليه دعوة. بعد قليل أتى واحدٌ منهما إليه يقص عليه أنهما جاران يتشاجران على شارع بين بيتيهما، وضربا بعضهما حتى أُصيبا بجروح كبيرة. كل واحد يتمسك بحقه، وينظر إلى نفسه أنه مظلوم.

«كارم»: هل تعلمان أنَّ بعد غد وقفة عرفات، وأنكما ستظلان هنا خمسة أيام في الحجز حتى ينتهي العيد السعيد، وأن أولادكما لن يُعيِّدوا مثل بقية الناس.. ما اسمك؟؟ نسيت أن أسالك.

قال: اسمي «نور عبد المولى».

«كارم»: هل تستطيع أن تكتب إيصال أمانة على نفسك حتى تجلسا معًا؟

«نور»: أنا موافق يا بيه إللي تؤمر بيه.

«كارم»: اتفضل ارجع مكانك.

جلس «كارم»، كيف يفتح الحوار مع هذا الرجل الذي لا يعلم عنه شيئًا. فجأة، وبلا مقدمات، يتقدم الرجل صاحب المشكلة مع جاره، ويجهش في البكاء أمام «كارم»:

انأ مظلوم يا بيه.

«كارم»: هوِّن عليك كل مشكلة ولها حل، ستأخذ حقك إن شاء الله.. ما اسمك؟؟

قال: عبد الله حراز.

«كارم»: هل من أحد تعرفانه في قسم الشرطة؟

عبد الله حراز: هنا الصول عثمان كامل، يعمل في المركز سيأتي في الصباح.

«كارم»: في الصباح تدعوان أنتما الاثنان الصول عثمان، وتتصالحان، واقتربا معًا، وأخذا يتبادلان شرب السجاير حتى تشرق الشمس بفجرٍ جديد.

«عبد الغفور»: والله تنفع وكيل نيابة. إنت سيدنا في كل مكان وفي أي زمان.

«كارم»: هي ليلة سوداء، نريد أن تمر علينا، أنا لا أنام إلا على السرير في بيتي.

«عبد الغفور»: امال أنا اعمل إيه؟ بقالي عشرة أيام، والضرب فيا ليل ونهار، لو كنت كافر كانوا رحموني عن كدا، ولا أحد يتقدم من القرية للصلح بيننا. الأغنياء عندما يحدث خلاف بينهم الكل يسعى للصلح، أما الفقراء فيتركونهم حتى يقتلوا بعضهم بعضًا. لا أحد يريد للفقراء أن تقوم لهم قائمة حتى يهلكوا جميعًا!

«كارم»: هكذا الدول العظمى بعد الحرب العالمية الثانية وجدوا صيغة للتفاهم بينهم، الدنيا مصالحن عملوا مجلس الأمن الدولي.

«عبد الغفور»: الغلابة محتاجين إلى السلام أكثر من الأغنياء. بلدنا مجلس الأمن المصغر. أنت أتيت ليلة جلست للصلح بين الناس، وإن شاء الله سيصلح الله أمري على يديك.

«كارم»: فرج ربك قريب، وعلينا أن نتنازل بعض الشيء حتى تستمر الحياة.

اقترب رجل فلاح قال يا بيه: أنا بقالي شهرين نايم في الغيطان. لي أخوة ورثنا قطعة أرض قدرها فدانين أصلاح زراعي. ورثناها عن أبونا، رحمه الله، أصبحت الأرض مديونة، وتم تحرير محضر باسمي، أنا الكبير، ليتني كنت صغيرًا. نحن

كأخوة يوسف عليه السلام حتى أمسكوا بيا. أرجوك يا بيه عاوز شهر حتى أدبر هذا المبلغ من أكل أولادي.

«كارم»: ما اسمك؟؟

اسمي أبوزيد أحمد الفقي. والدي كان راجل طيب لكن ترك إخوتي لوالدتي، الله يرحمه. أمي لم تحسن التربية، وكانت تستقوي على والدي بإخوتي بعدما كبروا، وكان هناك جبهات كثيرة في بيتنا لم يجد والدي، رحمة الله عليه، بدًّا غير إنه يداري ما لحقه في أولاده وزوجته حتى لا يعرف أحد ما به.

«كارم»: سوف يعطونك أربعين يومًا. عمومًا الكبير إما مدلل أو مغموم، والأقرب مغموم بعد أن يكبر، وينحني ظهره، ولا يستطيع الكسب يتقاسم مثل الصغير الذي له القدرة على العمل.. هل يتساوى مَن قدَّم مع مَن أخذ؟!

نام الجميع من طول التعب، وأرخى الليل سدوله، وإذا بباب غرفة الحجز يُفتح خلسة، ويعطَى الملتحي قرص حبوب، لا نعلم ما هو، ومَن أعطاه إياه.

بعد سويعات قليلة ينادي العسكري على «عبد الغفور».

«كارم»: يمسك بيديه.

«عبد الغفور»: لن أُضرب بعد اليوم، خرج مع العسكري إلى ضابط المباحث، ودخل عليه: سأعترف بكل شيء.

أشار الضابط: هاتوا شاي لـ«عبد الغفور».

اتهم عبدالغفور زوج ابنته «ماهر عطية» هو الذي خطط، وفتح الباب، وأخرج الماشية.

ضابط المباحث: انطلقوا، وأتوا به، جاءوا به، وهو بملابسه الداخلية. أتت خلفه حماته «ست أبوها مراد» وزوجها، وحين علمت، علا صوتها بالعويل، وتنازلوا عن المحضر. خرج «عبد الغفور» وعاد إلى بيته مع ضوء الشمس.

«حسام»: يقلب الملتحي فيجده قد فارق الحياة، وأيقن أن الشرطة هم القتلة. ليس لديهم مبدأ ولا دستور. عندهم الغاية تبرر الوسيلة، ومات معه سر الجماعة القتلة للإنسانية.

يخرج من الحجز إلى المستشفى يُعلن عن وفاته، ويدفَن في قريته «الجرادية»، علا صوت المتشدّقين أنَّ الذي قتل هذا البطل هم الشرطة، أعوان الزبانية. استدعي مساعد المباحث «كارم»، و«حسام» يذهبان معًا إلى رئيس النيابة.

رئيس النيابة: أنتم فعلتم إيه في السيدة، وابنتها كذا.

«كارم»: زوجها نصب على «حسام»، وآدي صورة محضر الشرطة الذي حرِّر ضده في قسم الشرطة.

نظر رئيس النيابة فيه، ثم أمر بتحويل القضية إلى وكيل النيابة مجدي أبو الروس.

أدخل العسكري الاثنين على وكيل النيابة. دخلت «لبنى» على وكيل النيابة معها اثنان من المحامين.

بدأ وكيل النيابة بسؤال لبنى: ماذا حدث؟

لبنى: دخل الاثنان على والدتي واعتدوا عليها بالضرب.

«كارم»: لو سمحتِ لي.. هما كانوا لابثين إيه؟

وكيل النيابة: جاوبي على السؤال؟

لبنى: كان أحدهم يغطي وجهه لم أستطع رؤيته، أما الثاني رجل طويل أسود الوجه.

وكيل النيابة: مثل «كارم»؟

لبنى صمتت ولم تجب.

«كارم»: كان لون شعره إيه.. ولا أصلع؟

لبنى: كان شعره أكرت طويل.

«كارم»: كيف حال والدتك بعد الضرب؟

لبنى: أصيبت أمي بغيبوبة.

«كارم»: لما لم تنادي على أحد من الجيران حتى ينقذكم؟ وكيل النيابة أيقن في نفسه، بحاسته القانونية، أنَّ هذا الأمر تلفيق، لا يمت إلى الواقع بصلة، وأنها مبادلة الاتهامات.

وكيل النيابة: حددي أوصاف الرجل الذي رأيته يضرب والدتك.

لبنى: مش فاكرة.

وكيل النيابة: لو حد أطلق علي النار أستطيع أن أعرفه من وسط مليون شخص!

المحامي: سيادة الوكيل الست لا تستطيع مثل الرجل

وكيل النيابة: هل لديك اقوال أخرى؟

لبنى: لا.

«كارم»: لو سمحت لي ما تقابلش والدتها في الخارج يعيدوا الكلام لبعض.

وكيل النيابة: دخَّل الست إللي بره.

دخلت السيدة، وهي تنتظر أي كلمة تُعينها حتى تجيب. تخرج لبنى

وكيل النيابة: ما اسمك؟

أجابت: هدايا يونس محمد.

وكيل النيابة: هؤلاء الذين اعتدوا عليكِ؟

هدايا: كأنهم هم، ولكن كانوا مُلثمين.

وكيل النيابة: لم تتعرفي على واحد منهم؟

هدايا: كان احدهم أصلع وقعت عنه عمامة كانت على رأسه.

وكيل النيابة: لم يطلبوا منك شيئًا قبل أن يضربوك؟

هدايا: طلبوا مني أموالاً، ولم أعطهم شيئًا.

نظر وكيل النيابة وجد أساور ذهبية في يدها.

وكيل النيابة: هذه الأساور ذهب ولا؟

هدايا: ذهب. عيار واحد وعشرين.

وكيل النيابة: كانت في يدك؟

هدايا: نعم في يدي من خمس سنوات لم أتركها من يدي دول حبايبي، والابتسامة تملأ عينيها.

وكيل النيابة: لم يكن الاعتداء بقصد السرقة إذًا. الاعتداء بقصد الاعتداء وليس السرقة.

المحامي: بقصد السرقة سيادة الوكيل.

وكيل النيابة: هل السارق كان سيترك الذهب في يدها هكذا؟!

وكيل النيابة: «كارم» أين كنت في ليلة الخميس في حدود الساعة السابعة والنصف؟

«كارم»: كنت أصلي العشاء في المسجد إمامًان فلم يكن موجودًا إمام المسجد.

وكيل النيابة: هل لديك شهود؟

«كارم»: نعم لدي اثنان صلاح هادى، وسعد رمضان.

وكيل النيابة: يتم الإفراج عنهما بضمان محل الإقامة، وتقرير المباحث عن وقوع الحادثة من عدمه.

جاء تقرير المباحث بعدم وقوع الحادثة، وتم حفظ القضية.

«حسام» يتصالح معهم دون علم «كارم»، وبقي «كارم» يلعن «حسام»، ومعرفته حتى أصبح نصيرًا لأخيه عصام ناقمين على العباد، والبلاد

عاد «كارم» يبحث عن حبيبة تُخرجه من تلك المأساة التي عاشها، وليالٍ قاسية. أيقن أن الحب هو دواء الفقراء.

عيِّن زاهر المنشاوي إداريًّا في التربية والتعليم، حاصل على دبلوم تجارة، متزوج من عزيزة ممدوح من أجمل النساء، ومعه منها بنتان «نجوى - يارا».

يذهب في الصباح إلى المدرسة ثم يعود إلى البيت ليقف يبيع التموين، وما يحتاجون إليه. جميع إخوته انفصلوا عن أبيهم في معيشتهم، ولم يبقَ مع أبيه غيره.

لديه كمبيوتر في المحل. صنع كرسيًّا أرضيًّا فيه ثقب موصلاً بكاميرا جهاز الكمبيوتر يضعها بجوار البنك الذي يبيع عليه. مَن يشتري يقف عليه.

عندما تأتي النساء يفتح الكاميرا للتصوير الداخلي، ومَن يجد فيها مرونة مع النعومة يكشف لها عما رأى منها. منهمن من تُجاريه، وتأخذ ما تريد، ومنهن من تُعطية ما يبغيه في مقابل

ميزانية مفتوحة طوال الشهر، فالمال كثير، ومَن عاشرها قام بتصويرها حتى يستمتع بمشاهدة نفسه، ويعالج نقاط الضعف، وينشِّط مناطق القوة، وهكذا صارت به الأيام مع مشاهدة الأفلام الجنسية التي تُزوِّده بكل ما يشتهيه، حتى جاء ما لم يكن في الحُسبان.

يطلب من فريج عبدالله، مدرس الحاسب الآلي، بعض الإصلاحات في جهازه.

فريج: احمله إلى البيت.

زاهر: سآتي إليك في المساء، ويذهب إليه، وفي خلسةٍ يقتنص مدرس الحاسب الآلي ما على الجهاز.

يعود زاهر بجهاز الكمبيوتر دون علم.

فريج يتصل به: أريد منك طلبًا.

زاهر: ماذا تريد؟

فريج: أريد خمسة آلاف جنيه سلف؟

زاهر: أنا ممعايش دلوقتي.

فريج: خليهم أربعة آلاف جنيه.

زاهر أعطاه المبلغ، وبعد فترة أخذ زاهر يطالب بالمبلغ المطلوب.

فريج: أنا ممعايش دلوقتي، واعتبرهم هدية، وأنا قبلت الهدية.

زاهر: إنت معتوه.. أهديك على إيه؟!

فريج: على البلاوي إللي إنت عاملها في النسوان على الحاسب الآلي!

زاهر: وإنت عرفت منين؟!

فريج: أنا أخذت الصور إللي على الحاسب الآلي.

زاهر: دا مش سبب علشان تأخذ المبلغ إللي عندك.

فريج: أنا على الأقل أولى منهم.

زاهر: إنت إنسان غير محترم، وأنا عاوز فلوسي، واعمل إللي إنت عاوزه.

فريج: ها تندم من تصرفي.

زاهر: اعمل ما بدا لك.

وظل الخلاف قائمًا بينهما. كل يحذر الآخر.

«هناء» مرتبطة بـ«منصور الفقي»، زميل لها في كلية التجارة بقصة حب منذ الطفولة المبكرة. يحبها لدرجة الجنون. كل شيء يراه بعينيها.

تسمو أخلاقه في رقتها، وهو من أسرة ميسورة تتمتع بسمعة طيبة، مع رغد العيش يذهب إلى بيتهم، يجد الترحاب من الصغير والكبير، الحب يرفرف على الجميع، يصحبها في الجامعة، الحرية أصبحت أكبر، القيود كُسرت، الأنغام تشدو في

حرم الجامعة مع الحبيبة. تعده بكل معاني الحياة الحالمة بأنه سيكون ملكًا متوَّجًا في مملكة حبها، وأنه امتلك عرش قلبها.

«منصور الفقي»: لقد تلاقينا على غير ميعاد.

«هناء»: أخاف أن تتركني، وتتزوج من الأغنياء!

«منصور»: كيف يحيا الإنسان بلا قلب في جنبيه؟! أنتِ معكِ مفاتيح الحياة. أنتِ ما أتمناه، حبك يملأ القلب رقة وحنانًا.

ينادي الدكتور ناصر على «هناء» بعد انتهاء السيكشن، الذي تعرَّف عليها في أول محاضرة، ويعدها بالتقدير في مادته، وتُسَرُ كثيرًا أنْ وجدت لها مَن يُعينها في الكلية، ويعدها بأنْ يَضع أسمها في المساعدات الجامعية، ويكون لها نصيبٌ في الكتب المجانية في الجامعة.

«هناء»: أنا يا دكتور لست في حاجة لذلك. تحمل في نفسها عزة وكبرياءً.

الدكتور ناصر: أنت مُحرَجةٌ مني. أنا طوال تعليمي لم أشترِ كتابًا كنت أذهب للأساتذة، وآخذ الكُتب بالمجان مرة على سبيل الهدية، وأخرى على سبيل التسول حتى أصبحت دكتورًا، وكانوا يُسمونني «دكتور المنح». كنت سعيدًا أني حفرت لنفسي اسمًا وسط هؤلاء العمالقة. معي لا تقلقي الغَنِي في قريتنا بجواره فقير.

أنا متزوج من هيام، بنت وكيل الجامعة، أستاذ الحيوان، كانت زميلتي في قسم الحيوان، والأولى على الدفعة، كانت ذكية في دراستها مع مكانة والدها، لكنها رفضت العمل في الجامعة رغم إصرار والدها تم تعيينها في الجامعة، ثم أخذت إجازة دون مرتب بمعرفة والدها أستاذي الدكتور ماهر المغربي، من أثرياء كفر الشيخ لديه برج في شارع «النبوي المهندس»، ولدى زوجتي هيام معرض أزياء «بيوتي سنتر» في نفس البرج، ولديّ منها ولدان هما مصطفى ثلاث سنوات، وعادل سنتان أنجبتهما مع إصرار أبويها على أن تُنجب أولاً، وهي خائفة على قوامها، فهي رشيقة القوام مثل البرنسيسة، وأنا صوتي غير مسموع ولم ترضع الأولاد. كله لبن صناعي. الخادمة عندنا راتبها ألفان جنيهًا. الفساتين التي تباع. تُباع على الأجساد العارضة. أنت تعلمين الفلاحون ينظرون إلى اللحمة، وإلى الضوء الذي يُبهر الجميع. يعود الفلاح لقريته يتحدث عن بطولات زائفة، لا أصل لها إلا في خياله أوقد يكون معدوم الأفق، لكن لو نظرت إلى الفساتين المبيعة لا تساوي شيئًا يُذكر أمام ما يُدفع فيها، فلا تقلقي فأنا مِثلك فلاح مستخبي داخل القميص، والبنطلون، عودت لساني على لغتهم، كُوني مع أستاذك بسيطة، كثير من الأساتذة يَتنكرون لأولاد قريتهم، وهذا ضَعف في الشخصيات أو يريد أن يريح، مَن ليس له ماضٍ، فهو بلا حاضر وبلا مستقبل، أو خائف أن يُقال إنَّ معيشتهم دون المستوى، وهذا في حد ذاته شرفٌ للجميع، وهو شرفٌ له أن تكون الإمكانات بسيطة، ومع ذلك يسير في طريقه، ويحدد هدفه لا يعترف بالصعوبات، وكلما مرَّ من محنة تقوي ظهره ليُصبح

جلدًا يتحمل المحن. أذكرك بيوم زواجي جاء أهلي من القرية، وظنوا أنِّي وقعتُ على كنزٍ، وفرحوا بالأكل، والشرب، وكل ذلك على نفقة والدها طبعًا، نحن يتعذر علينا سوق القرية، تركوني وحيدًا في وسط مجتمع أشعر دائمًا بأني غريب عنهم مع أنهم يعرفونني جميعًا، وأني دكتور في الجامعة. لقد أضعت وقتك، وإن عُزتي أي حاجة أنا موجود.

«هناء»: أنا يُسعدني أفضل معاك على طول يا دكتور دا أنت في العلم قيمة، وقامة.

الدكتور: بدأنا في النصب، حتى النصب ساعات بيريَّح الناس. الواحد عارف إللي قدامه بيضحك عليه، ومبسوط، الأذن تعشق الكلمة الحلوة. ضغوط الحياة أنستنا حتى الكلمة الحلوة. الله يرضى عنك يا «هناء».

الدكتور ناصر كان دائمًا يدعو زوجته إلى غرفة النوم يقول: يلا إلى الزريبة، كانت تقول له: اتطور بقى يا فلاح، كان يُجيبها: إني لم أعرفك إلا في الزريبة.

تقول: اسمها «سيكشن الحيوان» يا جاهل!

يقول: كان اسمها الزريبة.

تقول له: أصبح اسمها الزيبمو يا بلدي.

أقسم عليها ذات مرةٍ أنه لن يدخل غرفة النوم حتى تقلد صوت البقرة، وهي تنادي على العجل قبل الإعشار، وبالفعل فعلت ذلك!

فهم أدرى الناس بمهنتهم، ولغتهم فعلت ذلك.

صعد إليه «مُنجد» بواب العمارة، وقال له: يا دكتور إوعك تكون جايب بقرة، ومطلعها معاك الشاقة.

أطباء المواشي لهم حاجات غريبة.

الدكتور ناصر: أطلِّع البقرة إزاي على السلم يا راجل يا خَرفان.

«مُنجد» البواب: آمال إيه إللي بينعر عندك؟ ده أنا سامع صوت نعير عندك.

الدكتور ناصر: دا عالم الحيوان على الكمبيوتر يا غبي بأعمل بحث، تيجي تدخل فيه إحنا عاوزين واحد مبيفهمش.

«مُنجد» البواب: إوعك يا دكتور تجيب معاك مواشي، السكان هنا من أحسن الناس. هي العمارة ملك حماك، بس أنا مش راح أسمح لك تجيب مواشي، ولا كلاب، وينصرف البواب.

يدخل الدكتور ناصر الزريبة بمفهومه هو، ويُكمل الحياة بين ابتسامة، وآه، هكذا تسير الحياة بمسمياتها.

في القرية «حمادة دويدار» لديه ولدان هما «عامر»، و«ياسر» يعيشون حياة صعبة مرهقة تحمَّل الكثير من ضيق

العيش، لكنه راضٍ بحياته مع قسوتها، يعمل سائق عربة أجرة، لا يكفي راتبه مقومات الحياة إلى أن عَثر على كنز من الأواني الذهبية الفرعونية، وكان أزكي من «سعد سلامة» الذي يسكن جواره، وعثر على آنية من الذهب الخالص. ذهب لبيعها فعرض عليه صاحب محل الذهب مليون جنيه رفض، وخرج من عنده إلى محل آخر لبيع وشراء الذهب، فما كان من صاحب المحل الأول الذي تركه إلا أن أبلغ النجدة التي أتت على الفور وأمسكت به، وصادرت هذا الذهب لصالح وزارة الآثار، ودخل «سعد سلامة» السجن.

«حمادة» أخذ يُقطع الإناء الذهبي قطعة قطعة، ويبيعها حتى أصبح في وفرة من المال اشترى سيارة، وبدت عليه الإمارة التي يعرفها أهل القرية. الكل يمني نفسه بما أصابه، ولا يُفصحون عنها. عمل في تجارة اللبن يجمع ألبان القرية ثم يذهب بسيارته إلى القاهرة لبيعها. أشار عليه البعض بإنشاء مصنع للألبان في القرية، فالعمالة رخيصة، واللبن بجواره، وبيع اللبن مُصنعًا أفضل من السير به سائلاً على الطرقات، فقد اشترى قطعة أرض بنى عليها بيتًا مكنا من ثلاثة طوابق مع الاحتفاظ بالبيت القديم الذي يحمل الخير كله، وصار يعمل في تصنيع الألبان بمعرفة صناع الألبان بدمياط، فهم لا يأخذون إلا من الصناع الذين يعرفونهم، وأخذ يعلِّم أولاده هذه الصناعة، وجزء آخر أخذ يصدِّره إلى القاهرة فهي سوق واعد، العدد كثير، وأصبح له اسمٌ في هذا المجال، وعلامة تجارية، ويربح كثيرًا.

الذين يجمعون اللبن يضعون عليه الماء من أي مكان، إما قبل أن يشتري اللبن أو بعده.

بدأ في اختبار اللبن في الصباح والمساء، وازدادت تجارته واتسعت، وأهمل الأولاد التعليم بعدما كانوا من المتفوقين، ويزوج «عامر» من «صباح» ابنة تاجر المواشي «محمود نصر»، الذي يفتح له الأبواب ويرحبون به، وتم الزواج في سهولة ويسر مثل الزبادي.

أصبح البيت غير الذي كنت تعرفه من قبل نوم بالنهار، ويقظة طوال الليل يسهرون على تجارتهم. اشتروا عشرة افدنة، وأصبحت لديهم مزرعة للمواشي المنتِجة للألبان.

كلما ازداد المال كانوا أشد الناس بُخلاً وحرصًا على جمعه، ومع ذلك يحتفظون بالبيت الذي يعلو القرية الجديدة على أمل مزيد من رضا الأجداد.

خفر وزارة الآثار ينعمون مع مَن أدرك هذا. الكل يغدق عليهم العطاء حتى لا تنزل عليه لعنة الشرطة بالإبلاغ عنهم.

بجوارهم «عطية عبد العاطي» ليس لديه غير البيت الذي يسكن فيه. متزوج من «رباب الهجرسي» والدها كان يعمل قصاصًا للحمير في القرية، وكان يُخيَّل إلى زوجته «رباب» أنها سوف تتزوج زواجة عالية فهي جميلة، وتتزوج على قدر جمالها، ولكن للزواج معادلات أُخرى، فلم تجد غير «عطية» تتزوجه خوفًا من فوات قطار الزواج، فهو قطار قاسي القلب،

مَن يتركه يصطلي في الحر، أو زواجة ثانية أو أرمل فَقَدَ زوجته، ومعه أولادٌ، ولن يرضى الأولاد بزُوجة الأب بديلاً للأم فلا بديل للأم مهما صنعت، لكن الكل يسعى إلى شبه الكمال البشري، وما أدراك ما زواج الأرامل أخذ بهجة الدنيا، ولا يريد إلا مَن يكمل معه الباقية المتبقية من العمر، حتى ولو كان صغيرًا في السن إلا مَن رحم ربي، وأدرك أنَّ لغيره حقوقًا في الحياة السوية وواجبات. أدِ ما عليك أولاً قبل أن تطلب ما لك.

يتفانى في إسعاد مَن حوله يجد السعادة في سعادة الآخرين، ومنهم مَن أصابته الكآبة يقول: الشريك المخالف، ولا الوحدة.

«عطية» رجل يعيش بمفرده، لم يبقِ من أهله أحدٌ، فقد توفي والداه، وهو صغير، وربته جدته أم والدته، الحاجة نعسة الفرماوي، حتى اشتد ساعده ثم توفيت جدته بعد ذلك. أخذت الأيام تتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال، حتى أصبح يعمل اليوم بيومه على المزلقان مع عمال الترحيلة مع قوته الجسمانية. يفضل الأعمال الحرة عن رجل تظل في وجهه طوال العمر، والعائد فيها أفضل، خاصة إذا كنت قويًّا أو متقنًا لحرفة، الذي يعمل به يأكل به .لا يُعنيه بكرة ليس، له أمل في بكرة، عَيِّشني النهارده، وموتني بكره، ليس له في هذه الدنيا شيء يُسعده أو يُفرح قلبه.

يشير عليه خاله «محمد فريد» بالزواج، فهو عصمة. يطلب له يد «رباب الهجرسي»، هي من نفس فصيلته، أناس بسطاء في كل شيء، إلا العروسة تنظر إلى جمالها. هي تشبه والدتها في

كل شيء. كانت تريد المزيد، لم تجد غير قصاص الحمير لتتزوجه.

يتم الزواج بحضور الأهل والأحباب، سعد به مَن حضر ومَن غاب، فقد كثر فيه الحمير!

زوجته «رباب» تتقلب. يوم رضا ويوم غير ذلك. بهذا الحال تسيء إلى زوجها، ناهيك عن سوء المعاملة والكلام، لا يتفقون إلا في السرير لحظات معدودة.

والله عز وجل قال لموسى وهارون عند الحديث إلى فرعون، وهو كافر: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» (طه 44).

كيف تكون معاملة الزوجة لزوجها؟! لمَن تكون الرقة، والعذوبة، والحنان!؟؟؟قال تعالك «**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**» (البقرة 187).

هو سترٌ لها، وهي سترٌ لزوجها. المرأة عنوان زوجها وعنوان بيتها. المرأة العربية توصي ابنتها ليلة العرس: «لا يشم منكِ إلا أطيبَ ريحٍ، ولا تقع عينه منكِ على قبيح، ولا تفشي له سرًّا، فإنك إنْ أفشيتِ سره لم تأمني غدره». المرأة تلتحف بزوجها، وهو يلتحف بها في الشدة، والرخاء.

أخت زوجته «جوهرة»، وهي جوهرة بكل ما تحمله الكلمة من قيم ومعانٍ سامية. الجمال لا يُنكره أحد، وهي قمحية اللون،

بسيطة في كل شيء أُعطيت حلاوة اللسان، فحلاوة اللسان تجعل صاحبها دائمًا في أمان.

زوجة «عبد الرحمن سلطح»، رجل ضعيف الجسم لكنها جعلته أقوى الرجال، ولا تُشعره بأنهم متحاجون شيئًا، لديه عشرة قراريط تشتري وتبيع سمنًا وجبنًا من البيوت؛ حتى تساعد زوجها على الحياة.

لا تدخر جهدًا في مساعدة زوجها، ولديها ولدان هما «فيصل» و«عبد الرازق» عُمرهما 5 و6 سنوات تربيهما على الفضيلة، تتحدث إليهما عن أبيهما بكل الأدب والحب مع حداثة السن، ولا يجد عبد الرحمن مصروفًا يصرف به على الأولاد. الأرض لم تعد تُوفر شيئًا هي رصيد للأولاد أو ميراث الآباء نُحافظ عليها لمَن بعدنا.

بجوارهم «رجب فرحات الغندور»، أخرس يعيش مع والدته «روحية عطاالله» بعد وفاة والده، ليس له أخوة. يمتلك خمسة أفدنة وبيتين. شديد الصلة بابن خالته الأستاذ «جمعة عبد الخالق» أستاذ الفلسفة في المدرسة الثانوية في القرية، الذي أشار عليه بالزواج، وقفت الأم حائرةً من تتزوج الأخرس وتحافظ عليه وتُسيِّر أمور حياته؟! لم تجد غير «إكرام مرشدي»، فتاة بسيطة، وعاقلة حتى تستأمنها على ولدها، وتم الزواج بفرحة أثلجت القلوب وبدأ رجب رحلته مع والدته وزجته اللتين كانتا في خلاف على الدوام. «رجب» يشير إلى

أمه: أنها إذا أساءت إلى زوجته سأذبحك، ومضت بهم الأيام، الأم تتحمل، والزوجة تتدلل!

يُشير «عطية» على «عبد الرحمن» بالذهاب معه إلى العمل في مدينة كفر الشيخ يوافق «عبد الرحمن» على الذهاب معه، بشرط أن يعملا بعيدًا عن أعين الناس حتى لا يراهما أحدٌ أو يجلس بعيدًا حتى لا يراه الناس. عائلة «سلطح» عريقة الاسم، وإن كانت فقدت المعنى، المعنى في بطن الشاعر، وإن لم يشعر به أحد، ولن تَسمح العائلة بهذا إطلاقًا.

عطية: أنت عاوز الناس تقول عليّ وخلاص ما إحنا عدايل، ومتزوجين أولاد الهجرسي، والله رجل مكافح يأكل لقمته بعرق جبينه، ولا يخجل من عمله، حمارة تعضه، وحمارة ترفسه، أهي مراتي واخدة الرفس من أبوها.

«عبد الرحمن»: ما عليهش يا عديلي، الناس بيقولوا عليك صايع. كفاية يبقي واحد فينا، والثاني مِدَّاري فيه.

«عطية»: طيب ليه الكلام إللي يسم البدن؟

«عبد الرحمن»: والله أنت أنزه من ناس كتير أعرفهم، يكفي إنك ما بتكرهش حد، واللي في جيبك مش لك، هو يعني جيبك ما فيهش حاجة بس بكرة ربنا يعطيك على قد نيتك، والغني غني النفس، والضيق في النفوس، وليس في الفلوس.

«عطية»: أمري لله أخدك معايا بكرة، ونشوف الدنيا فيها إيه، ولو إن الحالة صعبة، بس مش راح تيجي عليك. ساعة ما أقول

يا تلاتة تركب ورايا على طول، ولو أن عَدِلتك تعباني كل شوية بتعايرني إني شغال على المزلقان مع عمال الترحيلة.

الحمد لله إللي أنا ما خلفتش منها علشان الطلاق يبقى سريع، يا أسيب البلد، وأَهج منها خالص دي عيشه تزهق، وتقصر العمر.

«عبد الرحمن»: بقى إحنا مسنودين عليك جامد، وتقدر تتحمل، وعامل حسابي لو تعبت في الشغل تتحمل عني شوية.

«عطية»: والله أنت بتريحني في الكلام يا «عبد الرحمن»، الله يبارك لك في صحتك، وعيالك.

«عبد الرحمن»: بقى مرآتك حلوة وبتشتكي، آمال إحنا نعملوا إيه؟!

«عطية»: هي حلوة في الشكل بس وفي السرير، بعد كدا إيدك والأرض.

«عبدالرحمن»: إنت عاوز تنهب دي بتشيل دي، واحمد ربنا.

يصرُّ أولاد «حمادة دويدار» على أبيهم أن يشتري لهم قطعة أرض في القاهرة، فقد تغيرت المفاهيم، وأصبح يُسمَع له هو وأولاده، حتى ولو كان الحديث غير صحيح، الكل ينتظر منحه أو ينقذه يومًا من محنة، ويبني لهم بيتًا هناك، فقد اشترى قطعة الأرض في مدينة نصر وبناها.

جعل الدور الأول مصنعاً للألبان، ثم أكمل البيت حتى صار برجاً في مدينة نصر، انتقل الأولاد نقلة دون تدرج من حياة

منضبطة، بما يصح وما لا يصح، إلى عالم لا يسأل الأخ أخاه، وإن سأله لا يجاب، الكل مشغول بلقمة العيش مَن لا يعمل لا يجد طعام يومه. أشاروا عليه بعمل الزبادي، وجبة سريعة وعالية المكسب، وبدأ بالفعل.

بدأ الأولاد في ركوب السيارات الفارهة، وارتياد صالات الديسكو بعد الرقص على قارعة الطريق، مع شرب المسكرات مع الفتيات الفاتنات، وأهمل «عامر» أولاده وزوجته، التي اشتكت إلى والده مر الشكوى، والأب عاجز، ولا يملك إلا القول الذي لا يُسمَع، وأصبح المال نقمة على أصحابه، أصبحت معاشرة النساء العاهرات إدمانًا من بعد العفة والطهارة!

بجوارهم في مدينة نصر يسكن الصحفي اللامع «محمد فرج»، في وسط عالم الصحافة، يعمل صحفيًّا في «أخبار اليوم» يقدم إلى رئيس التحرير الأستاذ «محمود العربي» مقالات لاذعة للحكومة.

«محمود العربي»: أنت أفضل حل لك الصفحة الفنية مع الفنانين والفنانات، والسهرات الجميلة، وتتعلم كيف يكون الحوار، والمجاملة الرقيقة.

«محمد فرج»: لا يمكن أن تكون هذه غايتي في خدمة الوطن. هموم الوطن أكبر من فساتين الموضة، والسهرات الحمراء.

«محمود العربي»: ما تفتكرش إنك إنت إللي وطني، الكل يخدم البلد بس بطريقته، هي الفساتين مش من مصانع شغالة ومرتبات وصناعة محلية. دائمًا ننظر إلى نصف الكبايه الفارغ!

«محمد فرج»: لا يمكن أن يرضى الشعب عن جميع أعمال الحكومة لو وصلنا إلى الكمال.. هذه بداية النهاية.

«محمود العربي»: إنت عارف إن هذه جرائد قومية، وأي مقال ممكن يهز الكراسي إللي إحنا قاعدين عليها، وأنا مش ها أسمح بعد العمر دا إن أي حد يهز صورتي أمام القيادات الإعلامية.

«محمد فرج»: الكرسي إما أنه يُعز صاحبه أو يذله.

«محمود العربي» يشير إليه بالجلوس: أنا كنت في نفس سنك، في نفس حماسك بس فيه أمور تانية لابد أن نراعيها في الصحافة.

«محمد فرج»: لو ظلنا متمسكين بالكرسي أصبحنا عبيد الكراسي، لكن لو أنصفنا الحق أصبحنا حراسًا على هذا الوطن.

«محمود العربي» يأخذ منه المقال، يعده بنشره من باب الإرضاء الشكلي.

«محمود العربي»، رئيس التحرير، يُدعى إلى اجتماع مع وزير الإعلام، الذي يطلب منهم مقالات نقد للحكومة، لكن بمعيار يناسب المرحلة: هناك منظمات حقوق الإنسان أصبحت تطلق الرصاص على الحكومة المصرية، وتشن حربًا إعلامية ضارية

على القيادة السياسية. نريد أن نصنع معارضة تقول ما نريد، وأن نوفر لها مساحة واسعة في الإعلام، وفي البرلمان، ويفضَّل في الاثنين معًا، ومتى نريد أن نُسكتها تكون سهلة الإخماد كالحرب الباردة، وأن تتناغم مع رموز أخرى في البرلمان، كل شيء يحسب بدقة فائقة، والكل يراهن على بقائه على كرسيه.

«محمود العربي» يستدعى «محمد فرج»: ابشر فقد أُتيحت لك فرصة العمر سيتم نشر جميع مقالاتك دون حذف منها؛ حتى يعلو صوتك، ويقوى قلمك، ولا تنسَ أنِّي أنا الذي قدَّمت لك هذه الفرصة الذهبية، سوف تقترب من القيادة السياسية، سوف تغطي جميع اللقاءات الخارجية في رئاسة الجمهورية، تصرف لك المكافآت، وأنا أراهن عليك بتاريخي ومستقبلي في عالم الصحافة.

وعلا صوته، وأصبح صاحب المقالات الرنانة التي تعشقها الأذن، في الدعوات التحريرية من البيروقراطية، ومناقشة الأخطاء في الوزارات التي تتصل بصفة مباشرة بمصالح المواطن حتى أصبح نجمًا لدى المواطن البسيط الذي يحلم بشبه العدالة الاجتماعية، ولا يعرف أن هذه تمثيلية هزلية على الشعب المصري صنعتها الحكومات من أجل بقائها تداعب أحلام الفقراء بغدٍ قد لا يأتي إلى يوم القيامة!

يتعرف عليه «عامر حمادة دويدار» الذي يعرض عليه أن يتولى حملة دعائية لمنتجاتهم من الألبان، وعلت اسهم «محمد فرج» مع زيادة أرباح الصحيفة.

يشير «محمود العربي» على «محمد فرج» أن يتقدم إلى انتخابات مجلس الشعب، فقد أصبح من المقربين للقيادات، وعليه أن ينزل إلى قريته يدعو أهلها، خاصة أقربائه، حتى يكون لهم إقامة في القاهرة وأُعطيت له جميع الصلاحيات والتسهيلات، حيث إن أهل القاهرة لا يعنيهم الانتخابات في شيء من قريب أو من بعيد،

وبدأت العلاقات في التطور والنمو، حتى ارتبط ياسر بابنته وفاء التي درست علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة القاهرة، ، وزوجها لم يكمل تعليمه، فقد خرج من الصف الثالث الثانوي بعد أن استفد سنوات الرسوب، والكل يخفي هذا، ولا يُعرَف عنه غير أنه من رجال الأعمال مع ما يحمله من أناقة المظهر، ولباقة الكلمة التي أبهرت الجميع، وتم الزواج في أرقى فنادق القاهرة على شاطئ النيل الساحر، وذهبوا إلى قضاء شهر العسل في إنجلترا.

كانت وفاء تغنيه عن اللغة التي لا يمتلك منها إلا القليل من ذكريات ما قبل الغنى والثراء، ومرت بهم الأيام.

وفاء بدأت تشعر بعدم وجوده في حياتها، وكانت تشكو لوالدتها التي كانت دائمًا تبحث له عن أعذار حتى تستمر الحياة بينهما، خاصة أنه لا يبخل عليها بأي مال أو مصروف، ولكن هناك أمور كثيرة تحتاجها المرأة هو غافل عنها أو أنه سئم القيد الحريري بالزواج.

يريد أن يكون كالفراشة تلهو وسط الزهور، طليقة بين الأشجار، ليلها أفضل من النهار، وأصبحت وفاء حاملاً. بدأ يراعي بعض الأمور من أجل هذا المولود الذي تمناه.

«محمد فرج» الذي ذاع صيته في جميع القنوات الفضائية يقدم أوراقه في مجلس الشعب وينجح باكتساح أمام مرشح الحزب المصنَّع الذي أتوا به خصيصًا ليؤدي ما عليه من الرسوب الممنهج.

نسي أنَّ الذي أهدى إليه هذه المكانة هي الحكومة التي تريده أن يتحدث أمام الإعلام بما يريدون أن يُسمعوه إلى الشعب والعالم الخارجي عن طريق أبواق صنعتها الحكومات لذاتها بمبرر مزيد من الديمقراطية على مسمع ومرأى من الجميع، حتى إن رئيس مجلس الشعب يعطيه الكلمة، ولا يقطع حديثه، وشبَّ الخلاف في تناول الموضوعات، والطروحات. الحذر ينتاب الجميع، وافترق الأشقاء، ودب بينهم الشقاق.

في القرية ««إبراهيم مجاهد» سرور»، عمره أربعون سنة، ولديه أولاد خمسة، وزوجته «سعاد سعادة». لم يصلِ إلا نادرًا، يعامل زوجته بقسوة لم يُعرَف لها مثيل، لم تحصل حتى على حقوق الحيوانات الضالة، تحملت منه فوق ما تتحمل الجبال الرواسي، عزاؤها الوحيد هو أولادها، فهم ثمرة الفؤاد لا تعرَف غير «حاضر»، و«نعم»، حتى تنجو بنفسها من زوجها، دائمًا عبوس الوجه حتى في المواضع التي تحتاج العطف بين الزوج وزوجته، يعاملها كأنها جارية أشتراها، ليس لها أن تُنفِّس عن

نفسها، ومع ذلك يطمع أن يستجيب له الله في دعائه، حيث يقف في كل ليلة على تبةٍ عالية بعد صلاة الفجر في الظلام دون أن يصلي يدعو الله، والناس نيام، يقول:

«يا رب كيلو دهب، أو حتى نص كيلو دهب. البلد كلها لقت دهب. طاب أعرف الدهب فين وأنا أحفر عليه، وأجيبه من غير ما حد يحس. لا من شاف، ولا من دري، وأصلي بَقية عمري، وأعوض إللي فاتني بس يكون عيار واحد وعشرين».

يسمعه الشيخ «عبد العليم العوضي» شيخ المسجد المُعيَّن من قبل وزارة الأوقاف كل يوم، وهو ذاهب إلى الصلاة، وهو غريب ليس من أهل القرية، وهو عائد من صلاة الفجر ينادي عليه الشيخ عبد العليم فلا يجيبه، ينتظره الشيخ حتى ينتهي من دعائه، ثم يشير عليه بالصلاة الأول، وإن شاء الله تلاقي الكنز. الشيخ يَنُظر إلى أن الكنز في الإنسان متى نمى نعم الله عليه وأتقن العمل، وصار من الإتقان إلى مرحلة الإبداع والتميز. الإنسان أغلى من الذهب، وابدأ من دلوقتي، وصلي، وما تسيبش صلاة العشاء والفجر، ينمِي فيه الإخلاص، والسرية التي لا يراه فيها إلا القليل من الناس حتى يذوق حلاوة القرب من الله.

وبدأ في المواظبة على الصلاة في المسجد في انتظار الكنز، الكل يريد معجزة ترفعه دون أن يسعى إلى ذلك، وكل يوم يقابل الشيخ عبدالعليم:

يا سيدنا ربنا أتأخر عليَّ قوي، شوفلك حل في الموضوع ده وخلصه، حتى ظنَّ الناس أن بينه، وبين الشيخ سرًّا لا يعرفه أحد.

الشيخ عبد العليم: اصبر ربنا بيشوفك صادق، ولا كداب.

بدأ المواظبة على صلاة الفجر والعشاء، تعجب الناس من الهداية التي نزلت عليه مرة واحدة، أخذ يمكثُ في المسجد فترات بعد خروج الناس من المسجد. ظنَّ الناس أنَّه يخلو بربه، وهو يريد ما يريد.

كان في المسجد نعشٌ تُحْمَلُ فيه أجساد الموتى والقتلى، يوضع في نهاية المسجد. بعد أن فرغ المصلون من صلاة الفجر جلس يدعو الله أن يَرزقه الدهب الذي اشتاق إليه كثيرًا. لم يبقَ في المسجد غيره، وأثناء خروجه من المسجد إذا بمسمار من النعش يمسك بطرف ثوبه الجديد الذي لبسه لأول مرة، كان يزهو به فرحان وسط الناس طوال يومه هذا يداعبه، وهذا يهنئه، لقد ذُهل حين رآه لا يتركه يعود من حيث أتى، وهو يقول للنعش:

«سيب الله يخرب بيتك، هو أنت ما لاقتش غيري، الجلابية الجديدة ما فرحتش بيها، سيب بلاش هِزار. أنا مش عامل حسابي دلوقتي ارحمني، وسيبنى. الله يخليك البلد فيها كتير ما لاقتش غيري، دا أنا ما صليتش إلا اليومين دول، والبلد فيها ربش ياما ما لهومش لازمة. الله يخرب بيتك يا شيخ عبد العليم».

وهو مربوط في النعش يجر النعش، ويسير النعش خلفه من الخوف يقول: «سيبني الله يخليك، أنا مش رايح معاك، والله ما عدت جي هنا تاني لا مصلي، ولا مهني، ولا عدت مصلي أصلاً، ولا عدت جيلك هنا تاني ما دام اتبهت مني مانتش سايبني، ولا داخل الجامع تاني، ولا عاوز الكنز هو أنت ماسك فيا ليه».

أخذ يجر النعش، والنعش خلفه يسير، ويصرخ: «يا خلق هوه، الحقوني، حتى سقط بين رباعية النعش يخيَّل إليه أن النعش يطير فوقه».

استيقظت القرية بأكملها من نومها على هذا الصراخ ظنوا أنَّ هناك حادثًا على الطريق الذي يقسم القرية إلى نصفين، وحين دخل عليه الناس، وجدوه في غيبوبة، وقام الناس باستخراجه من بين أنياب النعش بعد ملاصقة وثيقة، والنعش مُصرٌ على ألا يتركه!

بعد أن جُمِعَ أهل القرية ظنَّوا أنَّه قد مات «جمال فرغلي»، ذاهب لصلاة الصبح مبكرًا، رأى ما حدث أمامه، فقال:

«أحملوه في النعش، وروحوه فيه. إن كان سليم خير وبركة، وإن كان مات غسلوه، وتعالوا به»، واستقر الرأي على حمله من غير النعش على الأعناق إلى البيت، فقد كان يكرهه بشدة، وذهبوا به إلى البيت.

جاءوا بالطبيب «عادل كامل» من الإسكندرية، أول تعيينه كان في هذه القرية التي يعيش فيها على مضض فهي مملوءة بالناموس والذباب، ظلَّ فترة طويلة يستعمل الكريمات على وجهه الذي أُصيب من الناموس، يسعى كل أسبوع إلى مديرية الصحة: «أنقذوني من هذه القرية»، لا أحد يجيب عليه، حتى دخل إلى مكتب وكيل وزارة الصحة بكفر الشيخ، وأخذ يقصُّ عليه ما يعانيه من الوحدة والحياة الريفية القاسية.

وكيل الوزارة: بعد سنة التكليف أعدك بأنْ تنقل إلى الإسكندرية.

أتوا بالطبيب عادل للكشف على ««إبراهيم مجاهد سرور»، قال الطبيب: «إنه على قيد الحياة. إنها صدمة عصبية شديدة، وسيظل في غيبوبة لمدة يومين، وما حدش يحاول يزعجه».

وأعطاه الدواء، وقال: «أتركوه يومين في غرفه مظلمة».

زوجته سعاد: دا بيخاف من الضلمة يا دكتور.

الدكتور: أي حاجة غير إللي قولته خطر على حياته.

من الأولاد مَن تمنى أن تكون هذه النهاية، ويستريح منه، فقد جعل البيت كالقبر في ظلمته، ما رأوا منه كلمة يذكره بها أحدٌ، كلها شتائم وإهانات، ومنهم مَن يدعو له بالشفاء أملاً في أن يصلح الله الأمر، ولو أنه بعيد المنال، لكن بقاء الدنيا عامرة لا يكون إلا بالآمال، وإنَّ من الآمال ما قد يتحقق. الأب نعمة من الله حتى، ولو كان غير ذلك!

بعد مرور يومين يستيقظ «إبراهيم مجاهد»، يجد زوجته «سعاد» في الظلام بجواره تمسك بيده، وتنام عليها. ينظر إليها يقول:

«يارب هي ورايا ورايا. عذابك جامد قوي يارب لا فلوس لاقيت، ولا من سعاد عديت».

سعاد: أصحى يا سبعي قَلقنا عليك. يا جملي حمدًا لله على السلامة، وقامت وأضاءت الغرفة بالمصباح الكهربائي. فرح فرحة غامرة اهتزت لها جنباته.

قال وهو ينظر إليها في ذهول: مش تقولي يا سعاد إنِّي لسا عايش، سامحيني يا سعاد يا أميرة يا أم الأولاد.

صحوة الموت ما أرى أم أرى غفوة الحياة.

يدخل عليه أخوته الأربعة، كدخول إخوة يوسف عليه، وهم له منكرون، وهم يتمتعون بنسبة عالية من الغشم تَصلحُ للتصدير الخارجي مع ارتفاع سعر الدولار نسبة تفوق المعدلات الدولية.هم يحتلون الصفحات الأولى في موسوعة جِينيز للأرقام القياسية في الغشم الأصيل، وغير الأصيل!

حين أخبروه بما حدث، وأنَّ سيرتهم الذاتيةُنشرت على أعلى مستوى في القرية والقرى المجاورة، والعزب، وقريبًا في القنوات الفضائية.

تقدم عمهم، الحاج بسيوني سرور، المتحدث الرسمي باقتراح قد يكون صائبًا بعض الشيء، وهو عمل مشكلة قوية مدوية في القرية تدوي حتى يَحدث تعتيم إعلامي على ما حدث، وأصارحكم القول: «لن تُمحى هذه الحادثة من تاريخ القرية. الأحداث في القرية قليلة، ولن تنسي. هذا ما لدي من علم»، قال لمَن لا يعلم.

هَبَّ «إبراهيم مجاهد» واقفًا، والغيظ يتملكه، يجر سيفه الأصيل الذي لم يدخل به معارك، عصاة من شجر الليمون، وقال:

«هاتوا العصيان علشان تقتلوا جمال فرغلي، عاوز يركبني النعش، لازم يركب هو النعش النهارده، إللي أخويا حقيقي يَقتل جمال فرغلي، وأدفع ديته»، وأصبح النعش الذي يُمسك بثياب أهل القرية حديثُ الساعة، ويُكشفُ النقاب عن الأسلحة التي كانت لديهم. يَرفع مرتبة السرير الذي ينام عليه ووجدوا العصيان التي كان يَجمعها عبر سنوات العمر الطويل لمثل هذا اليوم.

تتحرك القوات بالعصي والشوم التي جُمعت على مدى فترات طويلة من الزمن الجيولوجي، الذي لايُعرف له بداية، ولا نهاية. السوس نخر بعضها، وتحتاج إلى ترميم، والبعض الآخر بخيرٍ، وعلى جُهوزية كاملة للغشم في أي وقت تريد!

حشد التعبئة العامة للقوات الخاملة للقتال المباشر.

تتناثر الأخبار بسرعة إلى نقطة الشرطة عن قوافل الغشم القادمة، التي تهدد القرية على كلمة قِيلت في وقت ظنَّ قائلها أنها سديدة. في وقتها تتحرك نقطة الشرطة بسرعة بمعرفة الملازم «عبد الوهاب مختار»، فهو حديث التخرج في كلية الشرطة، وهو من أبناء القاهرة، وأول تعيينه في هذه القرية. لا يعلم كثيرًا عن أهل القرية. كل ما يُنقل إليه برؤية خاصة، من مفهوم صاحبها الخاص، وعلى قدر علمه وفهمه. لا يعلم عنها غير ما قيل له من العاملين معه.

مكث في القرية ثلاثة أشهر. تحرَّك لرد هذا العدوان الغاشم على جمال فرغلي الذي أشار بركوب النعش وسيلة غير مكلفة، ولا مزدحمة، ولا مرهقة بعد الغُسل، قطعة القماش، لا يعنيه انقطاع التيار الكهربائي أو نقص الوقود، وهي زيارة واحدة، .لا عودة بعدها!

تذكرته ذهابًا بلا عودة أمارتها بكاء وعويل.

أخذ الملازم شرطة عبد الوهاب مختار على عمهم بسيوني الذي يُتوسم فيه الحكمة، ويُخفي غشمه خلف ثيابه، وهو شريك لهم في ميدان الرماية، والتدريبات العسكرية على الضرب واقفًا أو جالسًا أو نائمًا، أي ما تشاء حتى يكون مرجعية لهم أمام الناس

تعهد بعدم التعرض لجمال فرغلي، هي مجرد كلمة قالها الراجل لا تعني شيئًا من بعيد أو من قريب، والبركة فيك يا حاج بسيونى.

الحاج بسيوني يقول في نفسه: أنا كلامي لا بيأخر ولا بيقدم.. أهل مكة أدرى بشعابها لكن إللي تشوفه يا بيه.

ثم جاء الدور بعد ذلك على الشيخ عبد العليم العوضي، صاحب مشورة الصلاة، وكأنَّ الشيخ أخطأ عندما قال له عليك بالصلاة، فقالوا بعد أن أجمعوا أمرهم وعصيهم: ما عدش الشيخ عبد العليم يصلي في الجامع إمام، وإلا الضرب بالعصي، لا صلاة نافعة، ولا دهب لاقينا. يأخذ أولاده ويرحل من هذا البلد خلال مدة لا تزيد على شهرين.

بعد مفاوضات مريرة مع الشيخ يُوافق الشيخ على الخروج من القرية في مدة لا تزيد على ستة أشهر، وأخذ الشيخ يدعو الله السلامة من الغشم، فهو أول مفاتيح الفقر، لا تستطيع أن تعطيه أو أن تمنعه، فخير الناس من يألف ويؤلف.

كانت رؤية الشيخ عبد العليم أن هذه الستة أشهرٍ كفيلة بتحريك تلك العقول المظلمة؟

الهداية من الله، وقدرة الله ليس لها حدود ما بين طرفة عين وانتباهتها يُغير الله من حالٍ إلى حال، فقد قبل رسول الله صلح الحديبية مع ما فيها من ظلم، وجور، وجعل الله النصر لرسوله

بعد ذلك، لكن صلح الحديبية كان في أيام الجاهلية هل ما زالت الجاهلية قائمة؟!

إن ضاق بنا هذا المكان ففي الإبدال خير، وفي الترك راحة.

«محمد فرج» اتسعت الهوة بينه، وبين الحكومة، التي تخطى فيها جميع الخطوط الحمراء بعد أن هاجم رئيس الوزراء حين فتح باب شراء الدولارات من البنك المركزي، وعليه الرحيل من البرلمان، تم الطعن في دائرته الانتخابية، مَن أحضر العفريت، عليه أن يصرفه، وعُقدت الانتخابات مرة ثانية، تنزل القيادات السياسية بثقلها في تلك الدائرة. تأتي النتائج رسوب «محمد فرج» مع جدارة الاستحقاق، جفَّ قلمه، لم يعد له إلا عمله، سرعان ما وجد له عملاً في دول الخليج، من باب التهميش، لا من باب التكريم، خير من أن يصنع له سريرٌ في سجن أبو زعبل.. من ريش النعام إلى البرش، مع حماقة السجان!

استسلم «محمد فرج» وغادر البلاد.

«حمادة دويدار» يشير عليه جماعة من المقربين إليه أن اللبن يخسر كثيرًا في بعض الأوقات.. ماذا لو وضع عليه مادة الفورمالين لتحافظ على قوام اللبن، والشعب المصري أمعاؤه كالحديد، ومَن يأكل مرة تكون للذكرى الخالدة، ويفعل ذلك، والأرباح كل يوم في ازدياد.

ذهب لقضاء فريضة الحج هو وزوجته، حتى يتم أركان هذا الدين الحنيف في فرح، والكل حوله يتعلقون به يدعون سرًّا وجهارًا للرجل الخيِّر الذي يعطي بسخاء.

التدبير في الانتقام من الشيخ عبد العليم.

قاموا بشراء واحد من الشباب الفاسد «حسن حمدون»، لا يعرَف عنه إلا الجنون، يشرب كل المحرمات في القرية، حتى يُفسد على الشيخ خطبة الجمعة، وُضعت الخطة على أنه أمر طبيعي ليس فيه إعداد أو سابقة ميعاد، جاء بمجموعة من الضفادع، جمعها من الحقول في كيس بلاستيكي، وأخرجها من جيبه، والشيخ على المنبر، هرول المصلون في المسجد، ونادى عليهم الإمام أن اجلسوا، لم يُنصت إلا القليل، وتحولت القرية من قضية النعش إلى قضية الضفدع الموجود في المسجد أصبحت المساجد يُعبَث بها!

في القرية «الحاج عبد المنعم الطحان» رجل ذو باع طويل في الخير، ينفق ما طالت يداه، يدعوه أهل القرية إلى جميع مشاكلهم، مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، وجد الناس فيه أمانة على أحوالهم وارتضوه حكمًا عليهم في أدق أمور حياتهم، حتى سألته امرأة عن أمرٍ مع زوجها. لم يقف مكتوف الأيدي، ولم يدعِ علمًا صار يسأل شيخ المسجد، وأتى إليها بالإجابة. نذر أن يذبح عجلاً كل عام لله يأكل منه الغني والفقير، فكانت جاموسته كل عام تنجب عجلاً يذبحه لله، والبركة من الله.

كانوا يبنون المسجد، وأشاروا عليه أن يبيع العجل للمسجد بدل أن يذبحه، قال: «وهل هذا ينفع».

قالوا: «نعم». أعطاهم العجل، وباعوه، وأخذوا ثمنه للمسجد. جلس الفقراء يمنون أنفسهم بهذه الليلة، لكن لم يجدوا. ظنوا الرجل طمع في العجل هذا العام. تستيقظ القرية على موت تلك الجاموسة. وقف يصفق بيديه يدعو على مَن أشار عليه بهذا الرأي، وقف الناس تقول له: «ربنا يعوض عليك»، ابن عمه، محروس الطحان، واقف بجواره يقول: «لو كان ربنا عاوز يعوض ما كان سابها، وخلاص».

أخذ على عاتقه إلا يُخْلِفَ عهدًا له مع الله، وعاد يذبح لله مرة ثانية، وإذا بجاره، الحاج نعمان القليني، يطلب منه ثمن نصف فدان أرض بجواره، فيعطية ثمنه دون أن يأخذ عليه الأوراق أو ينقل حيازة الأرض إلى أرضه أو يأخذ الأرض، ثم ذهب الحاج نعمان يشتري سيارة ميكروباص، واشتراها.

يطلب الحاج عبد المنعم منه عقدًا للأرض، أخذ يُماطل فيه حتى يجمع له المبلغ الذي أخذه منه. طلب منه الناس أن يقدِّم فيه شكوى، والجميع شهود معه.

مكث فترة طويلة يقول له الناس: «لمَ لا تقدِم فيه شكوى للشرطة تأخذ لك حقك؟!»، قال: «لقد شكوته عدة مرات».

يقف بين يدي ربه يقول: «لقد فوضتك في حقي، فرد الحقوق كما تشاءون»، فما كان إلا أن أُصيبت العربة في حادث تصادم،

قتل فيه ولده، عبد الناصر، الذي كان يقود السيارة بسرعة جنونية.

سألوه قال: «كنت أشتري منه نصف فدان أصبحنا نشتري منه فدانين بجوار أرضنا»، ولدا الحاج عبد المنعم، مجدي وياسين، يذهبان بكل الخير الذي فعله أباهما هما ينظران إلى أبيهما أنه لا يعرف شيئًا، ما الذي أتي إليهما من إطعام الناس؟!

الناس كلها في نصح وإرشاد، وأبوهما يعيش زمن الدروشة حتى توفي أباهما، وهو يقول لهم: «لا تغيروا عادتكم مع الفقراء، فيغير الله عادته معكم. نحن نؤتمن على رزق العباد»، وجلسا إلى أبيهما قبل أن يفارق الحياة

مجدي: إن مات أبي سأصنع له جنازة يتحاكى بها الجميع في قريتنا، والقرى المجاورة.

ياسين: بل سنخرج قيمة ما ننفقه إلى الفقراء والمساكين.

أشار والدهما إلى مجدي، أن اسمع رأي أخيك.

مجدي: اخلص أنت بس خليك في إللي إنت فيه، ومات الرجل، وجف الماعون الذي كان الخير ينزل فيه. أصحبوا عالة على الناس، لا تدري في أي الأرزاق تحيا!

رباب زوجة عطية عبد المعطي تَحمِلُ بعد ثلاث سنوات زواجًا، وقد أعدَّ زوجها نفسه للرحيل بعيدًا عنها، بارقة أمل تُعيد الحياة إلى مسارها الطبيعي، قد يكون الغيب حلوًا، .تَحْمِلُ

زوجته بعد فترة طويلة أُرهقت من العلاج. رقت الكلمات، وازدادت الابتسامات، وتهللت الوجوه، والنور يملأ المكان، والعبير يزيِّن الزمان، عذوبة الحديث كلها أنغام. جي الزمان يداوينا من إيه يا زمان تداوينا.. دا الأمل في عنينا، والفرح حولينا.

«هناء» تجد والدتها مجموعة من القطع الذهبية بعد حفر بقادوم صغير حتى لا يشعر بها أحد، تُعطيها إلى «هناء» لتبيعها في كفر الشيخ. قطعة واحدة حتى تعرف السعر الحقيقي.

لم تجد أمامها إلا الدكتور ناصر، الغريب أعمى ولو كان بصيرا، تقص عليه الأمر في خجلٍ، يُجيبها أن له صديقًا بروفيسير في الآثار، يتفوق على أساتذة الجامعة في هذا المجال، يأخذ منها القطعة الذهبية، كثير من الناس يعملون في هذه المهنة.

ويعرضها على البروفيسير «نبيل سعيد» الذي يُقدرها بثلاثمائة ألف جنيه مصري، ثمن بخس، وأنها قطعة من خمس قطع أثرية نادرة، ومعها مجموعة من الأوراق البردية، وما تفرطش فيها بأي ثمن. الآثار أكسب من شغلك بسنين، البوص الكبير كل يُخفي الكثير لو راحت له من حد تأني راح يزعل، وإحنا ما بنحبوش إللي يزعلنا.

يُعطي «هناء» مائة ألف جنيه، والباقي له، يسألها عن الأربع قطع الباقية قالت له في خبث: «لا نعلم عنهم شيئًا».

قال في دهاء: «خلي ماما تدور مطرح ما لاقت دي هما قريبين من بعض».

تذهب «هناء» إلى أمها بهذا المبلغ، فرحوا به كثيرًا، ثم أفاقوا من النشوة التي انتابتهم عقب امتلاكهم هذا المبلغ، الذي لم يحلموا به طوال حياتهم، وبدءوا التفكير في القطع الباقية، وأخذ العقل يصول ويجول.. هل الدكتور ضِحك عليهم أم لا؟!

وتبدَّل حال «هناء»، فقد تركت الحب جانبًا ولم يعد في حياتها إلا المال، الذي أذهل الجميع، فمن لا يملك لقمة العيش يظل طوال عمره يبحث عن ما يسد الرمق، وقد لا يعمل العقل، وإن عمل يكون أقل كفاءة من غيره.

ذهبت «هناء» إلى الكلية. البسمة تملأ العيون، والألوان لون الربيع الزاهي في الحقول، والأرض افترشت عطرًا وزهورًا، تسأل الدكتور في براءة وخمول: «لقد عثرت والدتي على قطعة ثانية من الذهب»، هبَّ الدكتور واقفًا، وقال: «أين هي؟!».

«هناء»: ذهب والدي وباعها، بمائتي ألف جنيه.

الدكتور ناصر: لقد ضحك عليكم هي ثمنها ثلاثمائة ألف جنيه.

«هناء» للدكتور: لقد ضحك علينا، ولكن أكثر منك في السعر يا دكتور!

«هناء»: لقد ضحكت علينا في مائتي ألف جنيه يا دكتور، هو أفضل منك لو قلت لأمي فلن يأتوا إليك بشيء مرة ثانية.

الدكتور ناصر: أرجوكِ يا «هناء» الجماعة كلموني على الحاجة الباقية أوعي يرحوا كدا، ولا كدا.

«هناء»: أقول لهم، بشرط.

الدكتور: يظل واقفًا أمام «هناء»، لم يجلس كالتلميذ المتأدب، بين يديَّ أستاذه خائف أن يضربه، أو يعاقبه.

قال: شرط إيه يا «هناء» في تواضع، واستحياء.

«هناء»: تصمت قليلاً تُرجع مائة ألف جنيه زي ما باعوا.

الدكتور: خليهم خمسين كفاية، دا أنا أستاذك.

«هناء»: مش ها يرضوا بأقل من إللي باعوه.

الدكتور: أنا موافق

«هناء»: يللا بنا تفتح ليا حساب في البنك، وتُودعهم فيه.

الدكتور: والقطع والأوراق.

«هناء»: موجودة يا دكتور، كل إللي تفكر فيه موجود.

الدكتور ناصر: ما فكرتيش في مباحث الأموال، لو راح أي شكوى فيكِ ها تقولي إيه؟.

«هناء»: الحل إيه يا دكتور، أنت راجل عبقري في هذا المجال.

يصمت الدكتور ناصر قليلاً، ويسير في مكتبه يُعْمِلُ فكره، وخبرته، ثم ينادي على الساعي:

«قول للطلبة إن السيكشن النهارده أتلغى»، ويُغلق الباب يقول في صوت خافت: «ما فيش غير حل واحد».

«هناء»: في لهفة.. الحقني بيه يا دكتور.

الدكتور: خائف ترفضي وتزعلي.

«هناء»: قول بقى يا دكتور.

يُجيب في صوت عذبٍ: تتزوجيني يا هناء؟.

«هناء»: والزواج ماله ومال إللي إحنا فيه؟!

الدكتور: لما تتجوزيني تقولي إن دول مهرك، والفلوس لما تزيد تقولي إنك استثمرتي فلوسك في أي مشروع، وبدأت تكسب.

«هناء»: أنا موافقة، فسُرَّ الدكتور ناصر. لم يتوقع الإجابة السريعة الخاطفة.

الدكتور ناصر: فيه حاجة كمان، يكون الزواج عرفي، وسري، وأقدم لكِ في المدينة الجامعية، ولا تسكني هناك وآخد لك شقة إيجار هنا في كفر الشيخ.

«هناء»: ليا شرط عندك يا دكتور. إنت من ساعتها، وإنت عمال تقول شروط. اسمع بقى شرطي الوحيد. أنا مريحاك في كل حاجة. قولت عرفي، قلت ماشي. قولت في السر، قولت وماله، تأخذ مائة ألف جنيه في القطعة، قولت موافقة، إنك

تعرفني بالجماعة، ولك على القطعة الواحدة مائة ألف جنيه، وسيبني مني لهم.. إيه رأيك يا دكتور؟

الدكتور: عاوزة تعمليني كوبري تعدي عليه يا «هناء»؟!

«هناء»: أبدًا يا دكتور، وبعدين أنت جوزي، وها نخلف عيال كتير يتمتعوا بالفلوس دي، دا مصر حبيبتنا فتحت ذراعيها لينا، هذه أموال الأجداد نحن معها على ميعاد، وبعدين دا كله مش راح تعرفه إلا بعد الزواج وأعياد الميلاد والليالي الحلوة، وتغني.. وابتدأ المشوار.

الدكتور ناصر: أموت في الليالي الحلوة.

يذهبا معًا إلى مكتب المحامي. يُكتب عقد الزواج العرفي، ثم ينطلقان إلى البنك، يفتح لها حسابًا يودع فيه مائة ألف جنيه من حسابه، ثم تتطلب منه المهر خمسين ألف جنيه يودعها في الحساب على مضض، لقد استعبدته الأموال نسي ما تعلم وتربى عليه، ثم ينطلقان إلى الشقة التي أجَّرها لها مفروشة.

الأموال تفتح الغرف المغلقة، حتى غرف صناع القرار على أعلى مستوى. المال له بريق السحر، حتى الساحر يعمل في السحر من أجل المال!، حيث قضى كل من الآخر حاجته على غير ميعاد. كل على هيئته التي خرج بها من بيته، فقد أشارت عليه أن ينتظر حتى تُعد نفسها لليلة عرسها، لكن الدكتور أصرَّ على أن يقتنص الصيد، يخاف أن يفلت الطير من بين يديه، فقد تفيق من نشوة الأموال التي ألهبت الجميع، إلا...

ثم تعود «هناء» إلى قريتها، على غير الحال الذي خرجت به من بيتها، خرجت عذراء وعادت امرأة، لتدبر أمر السكن مع أهلها، وتناست الحب، الذي رأت أنه لا منفعة منه، وكانت ذكية، أخذت حبوب منع الحمل من أول يوم، كل ذلك في سبيل المال الذي يقتل كل شيء حتى الآمال والأحلام، وتحدثهم أنها أصبحت في وضع لا تتحمل الذهاب، والمجيء كل يومٍ، ولا بد من البقاء في المدينة من أجل تصريف ما لديها من الهدايا «الآثار المسروقة»، إما المدينة الجامعية، أو تستأجر سكنًا خارجيًّا، شوفوا حل.

يوافق أهلها على السكن في المدينة الجامعية، ذهبت من حياة القرية البسيطة إلى حياة المدينة، والهدف محدد، جمع أكبر قدر من المال، ومعرفة الطرق السريعة بشتى الطرق الشرعية، وغير ذلك تعرَّفت على توفيق أبو النصر صاحب بوتيك للملابس الجاهزة، اتخذه ستارًا لعمليات شراء الدولار والآثار.

جلست «هناء» إليه ورقت الكلمات، وارتفعت الشفاة بالابتسامات.

توفيق أبو النصر: أنا تاجرت في كل شيء إلا النساء، وجدناها تجارة تهدم البيوت العامرة، ونحن لا نعمل في الخسارة.

أخذت ما تريد أن تعرفه منه في دلال الأنثى مع قلة خبرتها في هذا المجال، لكن لديها مستشارين على أعلى مستوى علمي يستطيعون تسيِّر شؤون دولة بأكملها، هي تسير بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، تبيع وتشتري حتى أصبحت هي المصدر

الأعلى في تثمين الآثار المسروقة من مقدرات الدولة المصرية، التي أُستُبيحت كل مقدساتها حتى من أبنائها الأجدر بهم وعليهم أن يرفعوها بين الأمم!

تسلمي يا بلادي من كل الأذى ... عشتِ أبية عزيزة بين الأمم

نسيت حبيبها الذي عشقته ولم يعد منه إلا ذكرى لأيام الصبى والفطرة السوية والليالي الحالمة، فقد دارت في طاحونة الحياة القاتلة التي أذهبت كل بهجتها لمَن سعى خلف شهوتها!

قابلته في الجامعة يتبادلان النظرات.. وفي وسط الطريق ووقفنا من غير كلمة وداع.. كل واحد فينا حس أن أمله الحلو ضاع!

يردد حبيبها: إنتِ إللي تغيرتِ مش إحنا إللي تغييرنا.. كنا حبايب والهوى جارنا إنتِ إللي تغيرتِ مش إحنا إللي تغييرنا.. افترقنا وقولت دا كان قدرنا.. لا دا كان باختيارنا.. إنتِ إللي تغيرتِ مش إحنا إللي تغييرنا.

تعود إلى بيتها تنتابها لحظات دق فيها القلب، تنظر إلى صورتها في المرآة، تعكس شيخوخة القلب الرقيق الذي أصبح حجر صوان، تكسر المرآة، ويبقى القلب كهلاً كما هو.

الضابط عبد الوهاب يلتقي مع الطبيب عثمان في كل ليلة، فهما غريبان في هذه القرية التي جاءا إليها رغم أنفهما. كل يشكي إلى الآخر قسوة الحياة في هذه القرية.

الضابط عبد الوهاب: لقد رأيت في هذه القرية ما لم يره أحدٌ، لا أحد تسأله على شيء، ويجيبك.

الطبيب عثمان: ماذا تريد منهم؟

الضابط عبد الوهاب: الكل في القرية يتبدل أمره بطريقة مذهلة ما أراهم إلا سارقي الآثار، ويبيعونها.

الطبيب: لمَ لا تقبض عليهم.

الضابط عبد الوهاب: مش لاقي أي دليل عليهم.

الطبيب عثمان: إذًا هم أبرياء. القانون يقول المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

الضابط عبد الوهاب: مهمتي البحث عن الأدلة، مش راح أستنى لما ييجي الدليل على سبيل الصدفة، مهمتنا أكبر من ذلك.

الطبيب عثمان: متى تنتهي تلك السنة الكبيسة، ونعود إلى بيوتنا (القاهرة، والإسكندرية) هما عاصمتا مصر الجميلتان اللتان تحملان عبقرية الماضي، ونور المستقبل.

الضابط عبد الوهاب: من أجل أن تظل مصر مزدهرة لابد من يقظة أولادها، وتظل أعينهم عليها ساهرة، هي مطمع للجميع مع غفلة أهلها عن قيمتها الحقيقية.

الطبيب: الكل يخدم بلده في مجاله، وحسب إمكاناته. لستم أنتم وحدكم حماة الوطن، كلنا شركاء في الدفاع عنها، وخير دفاع عنها هو العمل الذي يرفع الأمة.

«السعيد البحراوي» من قرية بلشاشة على مقربة من قرية صندلا، الطريق بينهما كليلو متر، الطريق بينهما غير معبَّد، يعمل تاجرًا للحبوب عنده ميزان للبيع يرفع الكيل، وآخر للشراء ينقص الكيل. كل له اختصاصه، لديه ثلاثة أولاد، هم..

«سمير» في معهد الخدمة الاجتماعية نظام الأربع سنوات بمصروفات، والده يبكي على كل جنيه يدفعه، مقيد بالفرقة الأولى، يصرف المال ببذخ، يعلم أن أباه بخيل، وأمه هي التي تدير البيت، ووالده يبغض ذلك بشده ما دام لا يدفع شيئًا، تُحدثه عن الفلوس كأنما به مسٌّ من الجنِّ اسمه الفلوس أصابه، يظل طوال اليوم خارج البيت حتى لا يُطلب منه شيء، ويأتي إلى النوم خلسة لا تشعر به إلا وهو نائم على السرير، يرقب ما في البيت، ثم يستيقظ متى لا يُطلب منه شيء، وهم في البيت فطنوا إلى هذا الأمر، يأكل خارج البيت حتى يوفر لقمة الخبز في بيته الأولاد تأكل كأن أبيهم أكرم البشر.

«أحلام» في الصف الثالث الإعدادي، متفوقة في دراستها كعادة البنات، جميلة في مظهرها، أنيقة في أنوثتها، حريصة على المستقبل، كلما كانت ذكية كانت قادرة على رسم مستقبلها كما تريد، وتنال العمل الذي تتقاضى منه راتبًا حتى لا تكون عالة على غيرها. تمتلك زمام أمرها. الأولاد الذكور يعتمدون على

الذكورة، حيث الطلب عليهم كثير أو العقم الفكري عند بعض العرب من أن البنت عبء أو أنها تاركة البيت الولد هو الذي يفتح البيت، ولذلك صورها القرآن: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ» (النحل 58).

الذكور لا يعملون إلا القليل.. تلك مأساة.

«أحلام» تحب أباها مع تحفظها على بُخله الذي لا تبديه، لسنا في موضع الكمال، كلنا ل«دينا» عيوب، وتقول لا تقلقوا: «غدًا المال لكم، فلا تتعجلوا، الطبع يغلب التطبع! تخرج الروح أولاً، ثم يخرج الطبع بعد ذلك، وهي مشكلة عبر سنوات طويلة، لن تحَل بين يومٍ وليلة، وخليكم ماشيين بسياسة النَفس الطويل بدل ما تجيلكم كرشة نفس، وما فيش حاجة غير الموجودة، والبركة في ماما».

«هاني» في الصف الأول الإعدادي لا يعرف غير ماما التي تحنو عليه، وتعطي بغير حساب ماديًّا ومعنويًّا. عشتِ دائمًا بخيرٍ يا أغلى الحبايب يا أمي.

زوجته «هنيات كريم موسى» من بيت كريم. سخية اليد، ودائمًا على خلاف مع زوجها البخل، فهو يحب المال حبًّا جمًّا، وهي ترفض هذه الحياة القاسية مع ما يمتلكون من الخير الوفير. كانت تأخذ من وراء زوجها، وسألت الشيخ ذات يوم قال لها: «خذي ما يكفيكِ وولدكِ، ولا تسرفي».

صارت على هذا النهج حتى تستريح هي وأولادها من هذا البخل حتى كانت تُطعم أولادها قبل أن يأتي، وهو يعشق كل الطعام الذي لا يدفع فيه مالاً «سياسة الحرمان».

اثنان لا ينامان الخائف والجوعان.

وتعطيه الأموال اللازمة، وهو يظنُ أنها أتت بها من عند أبيها، فهو رجل كريم اليد. اجتمع الضدان، كل ما لديه من الأموال يشتري به ذهبًا، لا ينقصه إلا أن يفتح محلاً للذهب! حتى ذهب زوجته الذي تزوجت به ما زال معها حتى الآن يحتفظ به!

كلما رآه أحدٌ في كفر الشيخ يقول: «أنا بأزور واحد مريض»، يسألوه مَن هو المريض؟

يأتي باسم لا يعرفه أحدٌ، يقول: «ربنا أمر بالستر يشفينا ويشفي مرضانا ومرضى المسلمين».. ظل كذلك فترة طويلة.

«إكرام مرشدي» زوجة رجب الأخرس تبحث عن الإنجاب. ذهبت إلى امرأة داية، وصفت لها وصفة، وضعت لها قطعة صوف من الغنم في فرجها كادت تقتلها إلى أن تم استخراجها عن طريق عملية جراحية، وما زالت مصرَّة على ذلك.

ذهبت إلى امرأة تعمل في السحر وصفت لها وصفة أن تنبش القبور تبحث عن كفن طفل صغير، وتأخذ منه قطعة من الكفن في ظلمة الليل، فعلت بدقة ما طُلب منها، غير أنها أُصيبت بمسٍّ من الجن يأتي كل ليلة إلى البيت حتى يراه الجميع، يقوم بتكسير الزجاج في البيت، ويشعل النار في كل الأماكن.

وقف الرجال في القرية حتى يمنعوا هذا الجني الذي يأتي في ثوب ريح باردة تخترق الصفوف، وأصبح الجميع في رعب. يأتي المشايخ من كل مكان.

مكثت في هذا المرض شهورًا، كان ابن خالته هو الذي يسيِّر له كل أموره، وصار بها إلى كل الأطباء حتى شفيت من هذا الداء لتصاب بداء أبشع منه، ألا وهو حب الأستاذ «جمعة» الذي تزوجت حبيبته الأولى، فقد باعته بالدراهم الكثيرة التي تُعمي القلوب. وأصبح محطم القدرات، وتوفيت والدة رجب الأخرس، الحارس الأمين في البيت، والمرأة لا تُحرص!

صارت في حيرة وقلق من مصير لم تعلمه فإن مات رجب الأخرس ستخرج صفر اليدين.

لم تجد أمامها إلا الأستاذ «جمعة» أستاذ الفلسفة الذي لم يتزوج بعد حتى تعاشره فهو أقرب الناس إلى البيت، ولا يشعر أحدٌ بهذا الأمر حتى عشقت الأستاذ الذي أغناها عن التفكير في الأولاد، وأحبت كل شيء يتنسمه، تراقص نفسها، تداوي قلبها، كم كنتُ محتاجة أن أتزوج مثل هذا الأستاذ حتى لو لم تجد قوت يومها.. فهل تصفو الدنيا لحبنا، وكان رجب الأخرس يعاشرها، وهي ترى أنه (الأستاذ) تحول الحب إلى انفصام في الشخصية.

رجب الأخرس يتعجب ما هذه المتعة التي لم أرها منذ أن تزوجت؟ يوهم نفسه!

فاقت كل شيء في حبها. الأستاذ «جمعة» نسي الذي درسه، وسقط في بئر يتجرع سقم المعاصي، واستمر كذلك لا يُعلَم عنه شيء.

مع ظهور الشباب المتعاطي للمخدرات كثرت السرقات، وظهور الثلاثي «بخيت شحاتة المتولي» ابن عامل نظافة يعمل على جرار القمامة في القرية، يقف شامخًا بين أكوام القمامة من أجل لقمة عيش بعرق الجبين، يسعى إلى تعليمه، لكن الفشل يطارده، ولكنه كان عبقريًّا في سرقة المواشي، المستأنسة وغير المستأنسة، وجميع الطيور، له القدرة على تكميم أفواه الطيور، وله القدرة على تصريف السرقات في الداخل والخارج دون رسوم جمركية، يتمشى مع اتفاقية التجارة العالمية، فقد أسقط جميع الحواجز الجغرافية. تفوَّق على الدول والحكومات، وأصبح يُضرَب به المثل في المصائب.

«فوزي أمين الغندور» والده متوفى، وأمه نورا عبد الله، لا تستطيع عليه، هو ولدها الوحيد بعد وفاة أبيه بعد ثلاث سنوات من زواجه، باكية على شبابها وعلى ولد لا يرجى نفعه. وصل إلى درجة الإدمان. لا أحد يقترب منهم، خوفًا من فوزي حتى لا يقال إنه يريد الزواج من والدته فيقتله فوزي. الإجرام يجري في دمه حتى الكلاب الضالة في الشوارع تهرب منه، فكان يمر على الناس وهم مجتمعون يتحدثون ثم يختبئ منهم، ويُخرج كلبًا صغيرًا، ويلقيه وسط الناس فيهرعون جميعًا لا يعلمون مَن الذي ألقاه عليهم، يضحكون على أنفسهم.

كان يمر على البيوت يتسمَّع على الرجال وزوجاتهم في الفراش، حتى في ليلة مرَّ وجد «إسماعيل منصور» مع زوجته في تناغم كالطيور، كل يفهم مفتاح الآخر في بيتهما الذي بني من الطوب اللبن. أخذ ينظر إليهما من الشباك ذي الأعمدة الحديدية. من كثرة النظر إليهما دخل بوجهه بين قطبان الحديد يريد أن ينقل الصوت والصورة مباشرة وحصريًّا من المصدر. شعرا به فقاما بضربه على رأسه بالنعال، كل من ناحيته وفرحا بما فعلاه فيه حتى خلع الشباك، وصار به فقد كان قوي البينة!

جرى «إسماعيل منصور» خلفه: هات الشباك الله يخرب بيتك، ضيعت الليلة، وأخذت الشباك معاك، خلتنا عريانين أكثر ما إحنا، وضاع الشباك فلا صوت يعلو، وقامت المشاجرة بين «إسماعيل منصور»، وزوجته.. مَن السبب في ضياع الشباك؟!

أخذ الشباك، وخرج منه، وباعه.

هكذا يستمر في القرية، جعل الأيام كلها سوداء، كل يدعو في سره، ويخاف أن يعلو صوته، والكل يتحمل يضحك أحيانًا على غيره أو نفسه، ويخاف أن يأتي عليه الدور مرة أخرى، ويدعو الله السلامة منه.

«أشرف عمر جزر» من أسرة محترمة، والده الحاج عمر جزر من أشرف الناس. ورع يخاف الله في كل شيء، في سعة من العيش

تأتي به الناس ليحل لهم مشاكلهم، يجري الله الحكمة على قلبه ولسانه، ويؤيده بالقول السديد، ينصر المظلوم مهما كان الثمن، لا يخاف في الحق لومه لائم، لكنَّ الله ابتلاهم بهذا الولد الوحيد، أخذ والده يدلل فيه فلم ينجب غيره حتى أصبح يسرق كل شيء من البيت. كان والده يبرر السرقة بأنها من بيتنا خير من أن يسرق الناس فنُعيَّر به وسط الناس، يدفع، ويكتم في قلبه لعل الله يصلح أمره ويهديه، وطمع في كرم ربه عليه، وظل الحال كذلك من مشكلة إلى أخرى: «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ» (الرعد ١١).

التغيير، الأخذ بالأسباب. الإسلام دين السلامة، ولا سلامة بغير الأخذ بمواطن التربية الصحية، علينا السعي، وليس علينا إدراك النجاح.

يدخل رجب الأخرس ذات ليلةٍ في المساء متأخرًا، يجد الأستاذ جمعة، ابن خالته، يعاشر زوجته، هجم رجب الأخرس عليه ليقتله فهو قوي البنية، وأجهز عليه إذا بزوجته تمسك زوجها بقوة من خصيته فيَطرح أرضًا، وجذباه فوجداه قد فارق الحياة هي، وجمعه وصعدوا به على السرير، وليس به أي جروح.

وفي الصباح يعلو صوتها بوفاة زوجها، جاء أهل القرية وأقرباؤه، واستخرجوا شهادة الوفاة بكشف ظاهري على

المتوفى، وأثناء الغسل وجد المغسل انتفاخ إحدى خصيتي الميت، فأيقن أن هذا قتل، وليس وفاة.

أرسل مساعده إلى الطبيب على أنَّ الميت احتمال أن يكون على قيد الحياة، تغيَّر وجه زوجته، حبست الأنفاس وجاء الطبيب وراء ما قاله المغسل، وتم إبلاغ الشرطة، وجاء الضابط عبد الوهاب، الذي أخذ يبحث هنا وهناك حتى جعل أعلى القرية سافلها، يبحث عن الجاني؟.. من يكون له صلة بهذا القتل؟.. هل من أجل السرقة؟.. هل من أجل الشرف؟

حتى وصل إلى الجاني الحقيقي، الأستاذ جمعة، الذي أُتُّهم بقتل رجب الأخرس. اعترف على إكرام مرشدي التي أمسكت بخصيته، وتم الحكم عليهما بالإعدام شنقًا.

مساعد أول «عنتر كريم سليم» بالقوات المسلحة يسكن في حي شبرا زوج «تفيدة عبد الفتاح شهاب»، تطوَّع من صغره في القوات المسلحة المصرية درع البلاد، وحامية حماه، مفخرة البطولات، صانعة الرجال الشداد، هي ملاذ الشعب، ولولاها لظللنا عبيدًا نخدم أسيادًا ما هم علينا بأسياد، كنا خدامًا للاستعمار، وحمل الأشراف من أبنائنا أبناء القوات المسلحة رءوسهم على أكفهم بغية نصرة هذا الوطن في ثورة 23 يوليو المجيدة. تحملوا العدوان الثلاثي على مصر الأبية، ثم نكسة 1967، ثم الانتصار العظيم في 1973. كل هذا تحملته القوات المساحة المصرية على عاتقها.. فأين النيام من هذا؟! كان الأغنياء يدفعون لأولادهم الأموال حتى لا يدخلوا الجيش.. ما تحمَّل الحملَ الثقيل إلا الفقراء، السواد من

الشعب المصري. خرج المتشدقون إلى الدنيا وجدوا البلاد محرَّرة. انظروا إلى التاريخ بعين الانصاف، ما حرر بلدكم إلا أبناؤكم، ولهم كل الاحترام، والتقدير من القلب.

الجندية عنوانه، والالتزام ثيابه، في البيت مدني بدرجة عالية. يفصل بين العمل العسكري والحياة المدنية. فلكل مجاله، والكل في خدمة بلاده. لديه ثلاث بنات، وولد «هالة - دينا- سلوى- أحمد».

«هالة»، في كلية الآداب جامعة القاهرة الفرقة الرابعة قسم التاريخ، تحلم بأن تكون يومًا مؤرِّخة لتاريخ مصر العظيم، من النضال في وجه الاستعمار حتى أصبحوا أحرارًا بدماء الأبطال من أبنائه، وإظهار جانب دورهم البنَّاء في بناء الوطن من كل طوائفه كبارًا وصغارًا، غرس فيهم قيم الولاء لهذا البلد، ولا بأس أن تُعلم من شرد بعيدًا إنما يأكل الذئب من الغنم القاسية.

المؤرخ تلزمه صفتا الأمانة والحيادية، وأن تضع ولو لبنة بسيطة في تاريخ المؤرخين العظام من المصريين الذين يشيد بهم التاريخ في كل محفلٍ.

تجمعها علاقة عاطفية مع زميلها «كارم علام صلاح» من أسرة مرموقة تسكن في شارع البرازيل في الزمالك، والده الدكتور «علام صلاح» أستاذ علم النفس والاجتماع جامعة عين سمش، وسفير الأمم المتحدة للنوايا الحسنة في الشرق الأوسط. تسمع منه الكلام كأننا ملائكة يمشون على الأرض. الكلام ما أسهله، والأصعب أن تكون مقتنعًا به.

كل يوم يزداد حب «هالة» لـ«كارم»، والآمال تبنى على الرمال حتى تناطح السحاب، وذات يوم يفاتح «كارم» والده في الارتباط بفتاة يحبها.

الدكتور علام: يا ريت يا حبيبي. دا يوم المنى، أنا عندي لك عروسة والدها سفير سابق، لا، ومرشح لمنصب وزير الخارجية.

«كارم»: يابابا، هو إحنا محتاجين مناصب؟!

الدكتور علام: المناصب دي توفر عليك كتير من الجهد والعرق، إللي تعمله في سنة تعمله بالتليفون وأنت قاعد!

«كارم»: بصراحة يا بابا، أنا بحب واحدة زميلتي، وعاوز أتجوزها.

الدكتور علام: بنت مين، وساكنة فين؟

«كارم»: والدها بيعمل في القوات المسلحة.

الدكتور علام: أبوها رتبته إيه لواء، ولا عميد، ولا إيه بالضبط؟

«كارم»: هو راجل بسيط عن كدا.

الدكتور علام: يعني نقيب ما فيش أقل من كدا.

«كارم»: رتبته مساعد أول.

الدكتور علام: طاب ما قولتش ليه من الأول مساعد وزير الدفاع، دا يوم المنى.. بس ها يرضى بينا؟!

«كارم»: يا بابا مساعد أول لسا مابقاش ضابط.

الدكتور علام: طاب يا ابني عائلتنا عريقة، وما ينفعش نناسب ناس أقل مننا، الناس تقول علينا إيه؟ نحن من صفوة المجتمع، لازم حتى يكون النسب متكافئ. فيه فجوة كبيرة بين المجتمع الراقي والأحياء الشعبية. أنا ما باقللش من شأن الناس دي.

«كارم» يُصر على الارتباط بحبيبته. أيقن الدكتور علام بصعوبة الموقف، وهو لا يعلم عنه شيئًا. بدهاء الرجل المخضرم يشير على «كارم» بالانتظار حتى تنتهي الدراسة، وإن شاء الله خير، بشرط، أول الدفعة زي كل سنة.

«كارم» يقبِّل يدي والده، ويسرع ليُخبر حبيبته.

«هالة» تقول: أتمنى يكون كلام صحيح، أنا حبيتك من غير ما أسأل إزاي وليه حبيتك. من غير ما أفكر، يا ريت كان ليا سلطان على قلبي.

«كارم»: خليكِ متفائلة. الدكتور سفير النوايا الحسنة خليكِ حسنة الظن!

«هالة»: كلنا أمل في بكرة مع صعوبة تحقيقه، لكن التاريخ يقول لازم ينتصر الحب.

«كارم»: خليكِ مع التاريخ، هو الأمل الحقيقي زي الدول ما بيتأرخ لتاريخها إحنا كمان نؤرخ لحبنا مدى الحياة.

«هالة»: يا ريت لقلبي شراع.

«كارم»: كنت ها تعملي إيه؟

«هالة»: كنت ها أحبك من جديد أهرب بيك بعيد عن الدنيا كلها.

«كارم»: الحب سلطانه على القلوب لا يعترف بالقيود، ولا تمنعه حدود. الحب عليك هو المكتوب يا ولدي.

«هالة»: دا إحنا بقينا شعراء في الحب والهوى.

«كارم»: ادعي إن ربنا ما يفرقنا أبدًا.

«هالة» تحملق في السماء، وتطيل النظر.

«كارم»: بتفكري في إيه، وأنا وياكِ.

«هالة»: هل تقبل الزمالك عروسة شبرا الخيمة البسيطة؟!

«كارم»: الزمالك يكون لها الشرف والفخر بهذه العروسة الجميلة، وبعدين أنا أول الدفعة.و أنتِ الثانية ممكن نبدل تبقي أنت الأولى وأنا الثاني، وإحنا إللي نجري وراكِ. تعلو الوجوه ابتسامات القلوب.

«دينا» في الفرقة الثالثة من كلية التجارة جامعة القاهرة قسم إدارة الأعمال تحلم أن تكون صاحبة مشروع بسيط تديره، وتكبر معه. هي تحب الأستاذ رضا عبد الحميد أغا أستاذ اللغة الفرنسية بمدرسة شبرا الثانوية بنات، من أهل الحي.

والده يعمل بائعًا على عربة للساندوتشات. من أسرة متوسطة الحال في نفس المستوى المعيشي.

الأستاذ رضا تعمل معه الأستاذة أحلام العباسي من أسرة عالية المستوى تسكن في فيلا في المهندسين. أسرتها عندهم مزيد من الحرية، المهم ألا تندم على اختيارك، أنت صاحب القضية، وأنت الخاسر الأول والأخير. عليك أن تحسن الاختيار.

والدتها وفاء الشامي، دكتورة علم النبات جامعة عين شمس، والدها دكتور بسيوني العباسي أستاذ البرمجيات جامعة القاهرة، تعمل أحلام مدرسة الفيزياء، تحب الأستاذ رضا بكل ما تحمله كلمة «حب» من معانٍ سامية.

عذبة، رقيقة، تتمنى له الرضا يرضى. تسمع اللغة الفرنسية منه مثل سيمفونية لشوبان، تتقرب إليهن تنتظره بسيارتها حتى تقوم بتوصيله إلى بيته أو تسرق نظرة حب أو كلمة حب بعيدًا عن مواعيد العمل الرسمية، يرفض مرة بدبلوماسية، ويقبل مرة أخرى، والمرة التي يوافق تذهب معه وتدخل البيت،وتجلس معهم كواحدة منهم، وتنتظر حتى يأتوا بالطعام وتأكل معهم، لقد تخطت مرحلة الحب إلى مرحلة العشق حتى ذُهل والده عندما رآها واقفة إلى جوار عربة الساندوتشات تنادي على المارة ليأخذوا الساندوتشات.

أقبل عليها الكثير كأنها بائعة من فترة طويلة، وتقول لوالده: «يا بابا عبد الحميد وصي رضا عليا دا أنا بأحبكم قوي»، وتبكي على

كتف عم عبد الحميد الذي يمسح على رأسها في عطف الأب، ويقول: «اللي فيه الخير يقدمه ربنا يا بنتي»، أحلام تقول: «أفتكر دائمًا إني أنا بنتك يابابا عبد الحميد».

تستقل سيارتها عائدة إلى فيلتها في المهندسين في نشوة المسرور.

الأستاذ رضا لا يستطيع أن يخبرها، وليس قادرًا أن يحبها. القلب له حبيبة واحدة كان يقول له: «أنا من أسرة فقيرة، لا أستطيع الزواج في الوقت الحاضر».

أحلام: ها استناك طول عمري، أوعدني بكلمة واحدة أعيش بها طوال حياتي أسعد انسانة في الوجود.

رضا: أنا مش ها اعمل زي رواية إحسان عبد القدوس أنا لا أكذب، ولكني اتجمل.

أحلام: تكدب عليا أو ما تكدبش عليا إنت ضي عينيا.

رضا: لله الأمر من قبل، ومن بعد.

تمر «دينا» يوميًّا مع زميلاتها في الحي على عربة الساندوتشات، وهي تقول: «أنت عنوان الكفاح.. اكتب لنا يا رب النجاح».

زميلات «دينا»: إن شاء الله تنجحي في الثانوية مرة تانية! وتعلو الابتسامات والضحكات.

تلتقى «أحلام»، و«دينا» بجوار عربة الساندوتشات. الفرقاء يتبادلان النظراتز الاثنتان بينهماعاملٌ مشتركٌ مَن يتقدم على الآخر. كلا القلبين يتمنى ألا يكون مجروحًا

«عامر حمادة دويدار» في صالات الديسكو أصبح من الرواد في هذا المكان هو له عنوان. الكل يخدم من أجل المال ومَن تستعصي عليه؟!

وإذا «هايدي حبيب» ترفضه بشدة، وترد عليه القول بحدة هي ليست كغيرها، ويعلو صوتها. تخرج من صالة الديسكو في سيارتها. يطاردها عامر بسيارته. تصطدم سيارته بسيارة نقل كبيرة. ينقل على إثرها إلى المستشفى، ثم يفارق الحياة.

أُصيب بعدها الجميع بالذهول، الذي أفقد الكل مباهج الحياة.. الأب يصاب بجلطة يفارق الحياة. الابن الثاني ياسر يترك الدنيا، وسرعان ما انخرط في الجماعات المتطرفة، دعاة الهدم، كل أفكارهم تنصب على الهدم، تتولى الجماعات إدارة مصنع الألبان، وكأنهم وجدوا ضالتهم لزيادة مادة الفورمالين بكميات مقلقة.

بدأ الفشل الكلوي يزاد في المنطقة القريبة من المصنع. أُخذت عينة من مريض على سبيل الصدفة وجدوا السبب في الفشل الكلوي زيادة مادة الفورمالين الداخلة في صناعة الزبادي، تم القبض عليهم. اعترفت الأم بما كانوا يفعلونه، وفارقت الحياة بعد رحلة طويلة مع المرض. ظلت تغسل من الفشل الكلوي

حتى سكن الجسد في التراب لم يعد منه إلا حديث يروى على لعنة المال.

الأستاذ رضا يطلب من «دينا» أن تحدد ميعادًا مع والدها حتى يأتي لخطبتها. «دينا»: انتظر حتى تنتهي السنة الدراسية، البيت عندنا كله كتب وكركبة، وبعدين أنا إللي باجي أشوفك.. فيه حد يلاقي كدا ويقول لأ؟!

الأستاذ رضا: أنا مش عاوز أفارقك طول عمري قرب يا زمان، وتعالى بالحب والأمان.

«دينا»: سيبنا الفرنساوي، بقينا نقول كلام حلو.. أمال فين «لا مور» الفرنساوي، وتمر اللحظات الجميلة زي الثواني في حبك أنت.

تمر «دينا» في يوم مع والدها في الطريق عائديْن إلى بلشاشة التي يسكنون فيها، فإذا بالملازم يسري الجندي في سيارته ينادي على المساعد «عنتر»، وينزل من سيارته، ويُعانقه، ويُعرِّفه بابنته «دينا»، ويُعجب بها، فهو يعمل مع والدها في القوات المسلحة. الملازم يسري يَعده أن يأتي لزيارته في البيت في أقرب فرصة.

الملازم يسري: أنت عارف البيت يا ريت تتفضل تزرنا أنت والأولاد، و هانكون سعداء بهذه الزيارة.

المساعد عنتر: أنت الأول تيجي لزيارتنا، وإحنا نرد الزيارة.

وينظر إلى «دينا»، يطيل النظر صوب «دينا» أيقنت «دينا» أن هذه النظرة فيها وعود، وإعجاب من جانبه، وهي لا تُعيره شيئًا من ذلك. «دينا» تشعر بالقلق، فهذه النظرات لا توحي بأنها نظرات عابرة، لكن ورآها أشياء كثيرة.

«دينا»: يا رب أسترها معايا لولا الملامة أغطي وجهي حتى أتزوج الأستاذ رضا. حتى لو لبست نقاب لامتلأ البيت من الخطاب أصحاب اللحية، وظنوا أني رابعة العدوية بقت أصعب وأشد.منهم مَن يفهم، ومنهم غير ذلك. أعمل إيه يا ربي لو حصل إللي خايفة منه؟ يا تري مخبي ليا إيه يا زمان؟!

الملازم يسري في سيارته يشعر بأن هذه الفتاة سرقت منه شيئًا ثمينا خرج من بين الضلوع.. هل يعود بالحب أم مزيد من الدموع.. دموع الرجال غالية.

«أحمد» في الفرقة الأولى من الكلية الحربية. عشق حياة الجندية. يعرف معاناة الأب.. الحياة قاسية، والطلبات كثيرة، والحمل ثقيل. يُوقن أن المال لا يصنع الرجال، كم من مَحنةٍ بنت رجالاً ى أشداء. لامكان في قلبه للعواطف علينا ببناء أنفسنا أولاً. تلك معتقدات سرعان ما تتبدل مع مَن نحب. الحب مُفجر الطاقات يحيي القلوب الموات، باعث الإبداعات.

يُقتل السعيد البحراوي من بلشاشة، وسُرق الذهب الذي جمعه طوال عمره فقد عُثر عليه مقتولاً في بيته مضروبًا بعصاه على رأسه.

«إبراهيم مجاهد» في منتصف هذه الليلة يهب واقفًا من نومه، يقول والله لأقتلك، ويسحب عصاه من مخزن الأسلحة المحرمة دوليًّا تحت المرتبة التي ينام عليها، مخزن الأسلحة الذي لا يفرغ، ويحدثه تبعًا للقنينات الدولية الحديثة من فروع الأشجار.

تفزع زوجته سعاد من نومها تظن أن حرامي جاء لسرقة المواشي التي لديهم فتُوقِظ إخوته الأربعة، فهم جميعًا في مكان واحد. خرجوا كعادتهم كالتتار مدججين بالعصي خلف أخيهم، يقولون إحنا وراكم يا ولاد الكلب.

الظلام دامس. ترتفع الأصوات بين الزراعات «أمسك يا ولد»، وهم بصرهم ضعيف يقعون ويقومون يبغون من كان يريد سرقة مواشيهم. يقطعون الأرض قطعًا ناحية قرية بلشاشة.

وأثناء السير خلف القبطان «إبراهيم مجاهد» على مشارف قرية بلشاشة إذا بقوافل الشرطة تُلقي القبض على «إبراهيم مجاهد» سرور، وعلى العصا التي بحوزته عليها دم القتيل، وفي الطريق الذي يمر منه وجدوا قطعة من الذهب التي سُرقت. تم القبض على «إبراهيم مجاهد» وعلى إخوته الأربعة «حسانين- فاروق- نجيب- الشحات»، ومعهم العصى، وترحيلهم إلى مركز الشرطة للتحقيق معهم، فقد ارتاحت الشرطة من البحث عن القاتل، وجاءهم الغيث. لا يعلمون لماذا يسيرون!

ضابط المباحث: مين إللي قتل، ومين إللي خطط لهذه العملية..

لا أحد يعترف، ظلوا ثلاثة أيام مُصرِّين على أقوالهم.

تم تحويلهم للعرض على النيابة، وحين ذهبوا للعرض على النيابة، وكيل النيابة ينادي بدخول «إبراهيم مجاهد»، ويدخل على وكيل النيابة مكبلاً في الحديد، فأشار وكيل النيابة، ففكه العسكري، وخرج.

وكيل النيابة: يا إبراهيم أنت قتلت السعيد النحراوي ليه؟

«إبراهيم مجاهد»: والله ما قتلته يا بيه.

وكيل النيابة: طاب أنت إيه إللي وداك بلشاشة في الليلة دي مع إن بلشاشة مش على تجاهكم خالص؟!

«إبراهيم مجاهد»: الله يخرب بيت بلشاشة واللي بيجي منها، والله عمري ما دخلتها، ولا أعرف حد فيها، ولا عاوز أعرف حد منهم خالص، دا بيجوا عند الجمعية الزراعية ما نردوش ناخدوهم، وبنسيبهم في الشمس تأكلهم.

وكيل النيابة: إحنا مش مشكلتنا تعرفهم ولا ما تعرفهمش. إنت مش كنت عاوز دهب، والدهب عند السعيد النحراوي، والقتل أسهل من الحفر يمكن تلاقي يا متلاقيش القتل أسهل، والفلوس مضمونة. قولي إيه إللي حصل بالضبط، والدهب وديته فين؟!

«إبراهيم مجاهد»: أنا ما أعرفش السعيد النحراوي إللي إنت بتقول عليه. أنا ها أقولك يا بيه. أنا كنت نايم مفتح عيني لاقيت قط عاوز قطة وهي مش راضية، طلعت علشان أحل المشكلة، فضلت أجري وراء القط لما دخلت بلشاشة، وهرب مني، دا قط براوي يا بيه.

وكيل النيابة: طاب إنت راضيت القط على القطة وقلت أنا قربت من الدهب، نبقوا وفقناهم وجبنا الدهب. ما عرفتش تسرقه قمت قتلته، وأخذت الدهب.

«إبراهيم مجاهد»: والله ما قتلت حد يا بيه. أنا كان مالي ومال القط الرذل. الناس كلها بترذل على بعضها، وأنا مالي أنا قليل البخت يا بيه، وبالعقل حد يجري كيلو وراء القط، ولو لحقته كنت ها أعمل فيه إيه. دا ذنب الشيخ عبد العليم العوضي سامحني يا شيخ أنا طول عمري غلطان!

وكيل النيابة: مين الشيخ عبد العليم العوضي؟ دا شريك في القتل ولا في السرقة، ولا في الاثنين؟

«إبراهيم مجاهد»: يا بيه، دا الشيخ بتاع المسجد بتاعنا. أسأنا له ياما. إحنا حمير يا بيه، فضلت أمي، الله يرحمها، مقعدانا جنبها ما عرفناش حاجة، ما نعرفوش نكلموا حد، عيالنا بيتجوزوا علشان خاطر العيال، أما لو علينا ما حدش متجوزهم، ولا حد مناسبنا.

وكيل النيابة: ما تضيعش وقتنا. إنت إللي قتلت السعيد النحراوي

«إبراهيم مجاهد»: والله ما قتلته يا بيه، دا أنا بأخاف من الهوى، وعندنا عُصيان علشان الناس تخاف مننا، ويقولوا دول ناس مفترية. كلك بيخافوا مننا.

وكيل النيابة: العصاية بتاعتك عليها دم القتيل.

«إبراهيم مجاهد»: ما أعرفش عنه حاجه يا بيه.

المحامى: إحنا طمعانين في كرم سيادتك.

وكيل النيابة: عاوز إيه يا أستاذ؟!

المحامى: إفراج بكفالة.

وكيل النيابة: يتم حبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق، ويراعى التجديد في الميعاد. خده يا عسكري.

وكيل النيابة: دخل يا عسكري إخوته الأربعة يُدخلهم العسكري، وينظر إليهم وكيل النيابة، ويدقق النظر فيهم لعله يلمح شيئًا في الوجوه، ويسألهم من الذي خطط لقتل السعيد النحراوي.

الأربعة في نفس واحد والله ما نعرفوا حاجة يا بيه.

وكيل النيابة: واحد واحد يرد، وما حدش يتكلم غير لما أقوله.. مين فيكم حسانين، يشير بيده.

وكيل النيابة: اتكلم.

«حسانين»: والله يا بيه ما عمري دخلت النقطة بتاعة بلدنا، تدخلوني السجن، ويُجهش في البكاء أنا غلطان إللي مشيت وراهم.. أنا مالي ومال البس والبسة.. حرام عليكم. فضحونا، يا بيه كان أبويا قبل كدا ينام في غرفة وأمي في غرفة ثانية، وكان ليلة ما يكون أبي عند أمي نتفضحوا في البلد. كانت البلد بحالها تقابلنا بالتهليل!

وكيل النيابة: والسفير أبوك كان عند أمك ليلة إمبارح؟

«حسانين»: كأن أبويا كان في الحرام، أبويا كان يقول نَفس النسوان، يسوس عظام الرجالة.

وكيل النيابة: يعني الناس كلها مسوسة؟!

«حسانين»: إحنا إللي مسوسين يا بيه، كلنا فضايح، يا بيه اعدموا واحد مننا، ولا اعدمونا كلنا، وخلصونا. كلنا عيوب، وما حدش شايف حاجة.

يضحك وكيل النيابة، ويقول: مال أبوك وأمك بموضوع القتل، وإنت عندك إيه يا فاروق؟

فاروق: والله أنا يا بيه ما أعرفش أذبح الفرخة. مراتي إللي بتدح الفراخ، باطلع بأي سبب؛ علشان ما أبنش خايف قدامها!

وكيل النيابة: وإنت يا نجيب دورك إيه في القتل، ولا في السرقة؟

نجيب: يا بيه إحنا بنكملوا عشانا نوم من كتر الشقى. كان مالنا ومال القط، الله يسامح الكل. يا ريتك ما اتجوزتي أبويا يأمه.

وكيل النيابة: يفرج عن الأربعة بكفالة قدرها ألف جنيه لكل واحد منهم، وعادوا إلى ديارهم كل واحد منهم بجرح، ليس له ذنب فيه غير أنهم يمشون دون عقل أو تأخر في النمو العقلي. كل يبيع ما عنده من قسوة القلب، وغفلة العقل، ونقص التعليم.

ظهرت في القرية الجماعات الإسلامية. كل يراوده الأمل أن يكون يَوما ما أمير المؤمنين في غياب المؤسسة الدينية التي أصابها الوهن، ذهب فيها الإمام يبحث عن عمل آخر، إلى جانب راتبه

الذي لم يعد يقضي حتى حاجاته الضرورية، لقد فقد الإمام مهابته، خاصة عندما ذهب يأكل هنا وهناك، ولم تعد له مهمة في الحياة غير الأكلوالشر والدعاء لمَن يطعمه فمَن يسمع له. تكاسل الأئمة، ولم يسعوا إلى مراتب العلماء إلا مَن رحم ربي.

ذهب الشيخ زكي الفياض، لا نعلم جماعته التي ينتمي إليها، إلى الشيخ فرحات السريع إمام المسجد الآخر الموجود في القرية المُعيَّن أيضًا من قبل الأوقاف، وقال له: يا مولانا إنت ظروفك مش عجباني، إيه رأيك لو عملنا جمعية، وأديهالك الأول تساعدك.

قال الشيخ فرحات السريع في فرحة غامرة: هو أنا ما عنديش مانع.

الشيخ زكي: بس ليا عندك طلب، هو إن الإخوة يعتكفوا في مسجدك هذا العام.

قال الشيخ: ما دام من أجل الصلاة فلا بئس، ما أقدرش أمنع أي حد من الصلاة والعبادة.

وأخذ الشيخ فرحات الجمعية المُقَنَّعْةُ الأول، وبدأ يشتري بها لحمة، ودجاج. عنده شهوة البطن غالبة عليه. يأكل حتى لا تسعفه أسنانه، لا يعترف بالشبع، والمعلقة لا تسعفه، يأكل بيده هي الأقرب دائمًا منه، تحمل ما تشاء أن يحمله، لا يفضِّل الأكل مع مَن يشبهه في ذلك، فمازال كذلك حتى جاء موعد دفع الأقساط. لم يجد ما يدفع وهم ينتظرونه في المسجد كل يوم. بدأ

في الانقطاع عن الصلاة شيئًا فشيئًا حتى أصبح المسجد ملكًا لهم. مرَّ عليه زميله الشيخ عمرو رمضان في يده دجاجتان اشتراهما لأولاده حتى يقضوا بيهم العيد الكبير في فرحة العيد السعيد.

أقسم عليه ألا يذهب إلى بيته حتى يتناول معه الغداء، فبيته بعيدٌ.

قال الشيخ عمرو: أذهب إلى البيت أودي الدجاجتين، وأعود.

أقسم عليه الشيخ فرحات السريع ألا يذهب إلا بعد الغداء، الجو حر، وقال أبقى خد الدجاجتين بعد الغداء، وأجلسه في غرفة الضيوف. أمر زوجته في سرية تامة أن تذبح الدجاجتين. معنا ضيف عزيز اعملي حسابه في نصف دجاجة بمفرده.

قالت زوجته: ما هذا الكرم؟

قال: إنه شيخ عزيز علينا، وبيده الترقيات في الأوقاف، هذا ما كنا منه نخاف عليه أن يشد اللحاف.

قالت زوجته: لا أفهم كثيرًا مما تقول.

الشيخ فرحات السريع: بسرعة، الضيف في الانتظار يخاف أن يضيع النهار، وأخذ يسقيه العصير، ثم الشاي، ثم تناول الطعام، وقبل أن يمشي. الشيخ عمرو يقول: نادي على الجماعة يجيبوا الدجاجتين.

قال الشيخ فرحات: لك عندنا دجاجتين، فقد تناولناهم في الغداء، ولك منا الوفاء.

قال الشيخ عمرو بعد أن اصفر وجهه. إنت بتهزر يا مولانا؟!

الشيخ فرحات: والله لقد أكلنا ذبيحتك.

خرج الشيخ عمرو يجر أذيال الخيبة على خسارته القوية من بني جنسه، فلم يتوقع هذه الضربة القاصمة التي أفقدته صوابه.

الجماعات جلسوا إلى الحديث، ثم بعد ذلك إلى المنبر، ثم تصدر الإفتاء، ثم أصبحت لهم الغلبة بالأموال. اليد المعطية دائمًا تجني. الأموال التي جاءت لهم من الخارج لضرب الاقتصاد، وهي من غسل الأموال أو من تجارة السلاح، أفتوا بجواز دخولها في فعل الخير.

القليل الذي يعلم خطورة ذلك على الاقتصاد، والأغلبية سكتت أيديهم عارية لا يسمع العراة أصوات بعض، وبدأ صوت الحق يخفت، وصوت غسل الأموال، وتجارة السلاح يعلو، لو أنها كانت مفيدة في الاقتصاد أليس هم أولى بها منا في أوروبا، وأميركا؟!

المواطن البسيط لا يعلم شيئًا. المهم يجد مَن يعينه على لقمة العيش. الحكومات تركت الشارع يموج بالأهواء في وسط الأنواء العاتية، وتطلب من الجميع الصمود بلا حدود، وطلبات الأولاد التي لا تنتهي. لكل أمرئ حاله الذي يكفيه، ولن تنتهي المشاكل، ولا تلوح في الأفق بارقة أمل، كلها وعود كاذبة أو واهية. الناس لا تأكل كلام. ضاع الشيخ المبطون في وسط

الديون من الأكل، والأكل وسيلة، وليست غاية كما يزعم أصحاب البطون!

أصبح الشيخ فرحات أفَّاك، لو جلست إليه فكأنك تحدث كاهنًا.

نمت الفِرق المتطرفة حتى في القرى بالسمن والسكر والزي والصابون والملابس المستعملة من الخارج.

الحكومات في غفلة عن النسيج الوطني الذي يُمزَق كل يوم، ونحن غافلون.

لقد سُحِب البساط من تحت الأرجل، والكل في حالة سبات عظيم، ينمو الولاء للخارج، والوطن أصبح شعارًا إلا للقليل، سعوا لضرب الجبهة الداخلية التي كانت، وستظل، الحماية الحقيقية لهذا البلد، كلنا في سبات عظيم، وسوف نَفيق على كارثة حقيقية.

القتل والدم سوف يكون بأيدي فلذات الأكباد الذين نحيا بهم، وتحيا بهم البلاد، بدأت الأمور تتعقد يومًا بعد يوم، واليد المنفقة صوتها يعلو ويعلو، حتى يَقتل بعضُنا بعضًا أو نكون مجرد أداة تُحركنا الأيدي الخارجية بحجج واهية.. مرة بحجة الدفاع عن الإسلام الذي يريد الغرب أن يهدمه، وأنَّ هناك حربًا على الإسلام الحرب على الإسلام، منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، لكن أين أدوات الإسلام للدفاع عن نفسه دون القتل؟!

ماذا قدمنا نحن للإسلام؟

أو بحجة الفساد الذي يعم البلاد، ليست الصورة بتلك الضبابية القاتمة، والأمل في التطهير موجود، ما بقيت الحياة. الأمين على دينه أمينٌ على وطنه، حريصٌ عليه. المدافعون عن الإسلام ماذا فعلوا بأموالهم من أجل نُصرة الإسلام؟! أموالهم تدفَع من أجل بقائهم على الكراسي المتهالكة. كلنا مُخطئون. أخطانا حين تركنا القدوة لأولادنا مع غيرنا!

تركنا دورنا الريادي بحجة ضعف الموارد، وكثرة الإنجاب. الصين أصبحت ماردًا في الاقتصاد العالمي بقدرات وعقول أبنائها!

ماذا قدمنا للوطن غير التكاسل والتخاذل. حتى في وسط أبنائنا لم نَعُد لهم قدوة. قدوتهم غيرنا، الذي ملأ الفراغ النفسي والذهنين معذرة أبنائي لقد أسأنا إليكم، ولن نغفل عنكم، نحن نحيا بكم، ومن أجلكم فلا تحملونا فوق طاقتنا.

تردد الملازم يسري على بيت المساعد «عنتر» مرات كثيرة، عيناه تبحثان عن «دينا» في كل مكان، يبحث لها عن وطن أو عنوان، وهي هاربة هروبًا من أجل الحياة، هاربة إلى مَن تهواه، فأي قرب من الملازم يسري ليس ضروريًّا في الوقت الحاضر. القلوب لها علتها.

أختها سلوى دائمًا ترحب بسيادة الملازم يسري الذي أدرك الجميع حبه لـ«دينا»، وبدأ يشعر بالإحراج من كثرة الزيارات، ولا يرى أي بارقة أمل تلوح في الأفق، يرى أن الذي يُخلصه

من العناء، والفكر يصول ويجول ما الذي ينهي هذا العناء مع مكابدة الأشواق؟

طارق الشوق يُسيِّر العقول خلفه، هو دخول البيوت من أبوابها، وليكن ما يكون فقد بنى بيوتًا من الرمال في مهب الريح، وفي انتظار الرياح أو المطر الرقيق، وهي سماؤها، مشرقة بحب الأستاذ وليلها يحيا في بريق النجوم، والقلب يهيم في السكون، رضا الذي يُلِحُ في الارتباط بها، وهي تؤجل ذلك الأمر، وإذا بالملازم يسري يكون له السبق في طلب يدها.

لقد انتصر الحب عليه، وأصبح يُقرأ في عينيه من والدها الذي أبدى موافقة على هذا الأمر من جانبه، وبقي الدور على «دينا» أن تحدد قرارها، وعليها أن تسعى إلى حسم هذا الأمر على وجه السرعة حتى لا تتطور الأحداث لأكثر من ذلك، تحتاج للحسم السريع، القلب ينادي الأستاذ، والعقل والأهل ينادون الملازم يسري حتى تسير المياه وتسري. يا قلب ما عشت بعد الحبيب يومًا، ءأنت من أهديتني الحياة أم مزيدًا من الآه، .كيف تحيا بغير الطبيب، وأنت سقيم؟!

في الشقة التي بجوار المساعد «عنتر» تسكن السيدة ماري لبيب إسكندر تعيش بمفردها، فقد توفي زوجها وتركها هي وولدها جورج سمير عازر. قامت بتربية ابنها جورج حتى تخرج في كلية الهندسة قسم الحاسبات الإلكترونية جامعة القاهرة بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وعيِّن معيدًا بالكلية، ثم سافر في بعثة علمية للحصول على درجة الماجستير

والدكتوراة من إنجلترا، وتزوج هناك، وظل يعمل هناك يبعث لوالدته كل شهر مبلغًا من المال، وأشار عليها بدار للمسنين لكنها رفضت هذا بشدة.

كم هي قاسية تلك الدار! لكنها أرحم من الوحدة، فقد يموت الإنسان بمفرده، ولا يُعلم عنه شيء، وقالت لن أخرج من شقتي إلا على الموت كانت بنات المساعد «عنتر» في رعايتها دائمًا، كم كانت أمًّا حانية عليهن، وهم يحبونها، فهي جارة لهم أكثر من عشرين عامًا لم ترَ منهم إلا خيرًا، وهم كذلك، وذات يوم يفاجأ المساعد «عنتر» بأربعة خطابات جاءت من البنك بأسماء أولاده في كل واحد منها مبلغ من المال، مبلغ لا يستهان به أودعته السيدة ماري لهم وديعة في البنك كل باسمه. ذهبت البنات إليها، وقلنَّ.. أتدفعين ثمن حبنا لك؟!

فذرفت الدموع من عيني السيدة ماري.

قالت: متى تُرَد هدية الأم لأولادها؟ أم هل تعتبرنني غريبة عنكن.. كم أنتن أحن من ولدي الذي لم يربطني به غير التليفون. كل فترة يسأل ليأخذ الميراث المتبقي أنتم أولادي أم ترفضون هدية أمكم المسيحية.

انهمرت الدموع من القلوب قبل العيون، وقبلوا هدية الأم ماري، وارتموا جميعًا في أحضان الأم المسيحية.. الأم أمٌّ في كل مكان، وفي كل الأديان عاشوا معًا، وكانوا يذهبون بها إلى الكنيسة، وهم في غاية السعادة..

ما أجمل أن يكون لك غير الأم اثنتانن تلك العلاقة الإنسانية التي جاءت لتُقرها جميع الأديان. فطرة الله في خلقه، شعب في رباط إلى يوم القيامة تلك طبيعة الشعب المصري، مَن قال غير ذلك فهو إما جاهل يتحدث بظاهر القول أو حاقد. ارفعوا أصواتكم عن الشعب المصري أهله أعلم به منكم. قد يكون هناك ابن ضلَّ الطريق، والده يطعمه ويسقيه، لا يفهم أننا نعيش بلقمة واحدة نقتات منها جميعًا!

«هناء» تترك البيت، وتأتي إلى الشقة المؤجَّرة في كفر الشيخ، ومعها أسلحتها، حبوب منع الحمل حرصًا على ألا تنجب طفلاً تُشغَل به عما يجول في مُخيلة رأسها أو يثنيها عما تريد أنْ تفعله في الحياة. الزواج عندها مجرد وسيلة لا غاية، وجاءت بالقطع المتبقية من الذهب تتولى هي المفاوضات حتى أصبحت من الذين يعرف الكثير عن تلك التجارة، ورأت أنَّ كفر الشيخ ضاقَ قماشها عليها مع أنَّها المصدر الذي لا غنى لها عنه، وشواطئها الطويلة التي تحمل الخير المهرَّب إلى خارج البلاد، وعليها أن تذهب حيث المال الوفير، والتجارة الحقيقية.

الدكتور ناصر يحذرها من القاهرة: نحن هنا في منأى عن الأضواء دائمًا مَن يكون تحت الأضواء تظهر عيوبة البسيطة كبيرة.

لكن الأمر حُسم، وعليه الاستجابة، وإلا الورقة تُقَطَّعُ، وأنت دون عمولة، وتركت الدراسة بعد أن اشترت لوالدها عشرة أفدنة، وقطعة أرض بنت عليها بيتًا خمسة أدوار كالقصر. الكل

ينظر ويعرف من أين جاءت الأموال، الصوت في خفاء، ويحلم أنْ يصيبه الوباء.هي حريصة أن تظل متزوجة حتى تفعل ما تشاء وهي في غطاء. تلك ضريبة الغباء وعدم الرضا!

النفس القانعة ثابتة على الأرض لا تضل، ولا تذل، دخلت بقدميها جُحر الكبار، الكل يطلبها ليلة الأموال عندهم. لا يبغون غير الشهوة واللذة.

هل هناك لذة في الحرام؟!

الملازم عبد الوهاب مختار يراقب الأمر في عجب، ما الذي طرأ على هذا البيت ؟ أخذ ينظر إلى هذه الفتاة، ويطيل النظر فيها. يداهم البيت أكثر من مرة. لا يجد شيئًا، لا جديد في الأفق. أخذ «هناء» وأسرتها أكثر من مرة إلى نقطة الشرطة دون أي شيء. الملازم شرطة عبد الوهاب يتطلع إلى التطورات، ولا يجد مَن يجيب. الصمت يخيم على الجميع، من أين هذا الثراء؟!

يبحث فلا يجد أحياء الفكر يصول ويجول ويخفت النداء. يرى أنَّ السماء لا تجيب إلا لمَن يطلب الدواء، والقرية كلها تحيا بنفس الداء!

تقصُّ الأمر على الدكتور ناصر يجيبها: عليكِ التقديم ببلاغ إلى مدير الأمن في هذا الضابط.

قالت: لا أريد أنْ أكون ورقة معروفة عند الحكومة، إما أن تسلط علينا الأضواء، أو ندفع أكثر حتى نعمي الأبصار عنا، وقد تأتي

إلينا أعين لا ترضى بما نعطيه لها. ابعد عن الحكومة، كل يوم تتقلب الحكومات، ولا هم لهم غير هات.

الدكتور ناصر: أكلم الجماعة ينقلوه.

وفي غضون أسبوع يُستدعَى الملازم عبد الوهاب إلى مديرية أمن كفر الشيخ ليخبروه بأمر النقل.

يرفض الملازم عبد الوهاب أمر النقل. يخبره ضابط في العمل أنَّ هذا النقل جاء من أعلى الرتب في وزارة الداخلية، وأنَّ المجرمين لن ينتهوا، وسنظل نعمل في اي مكان.

الملازم عبد الوهاب: دي مقدرات بلد!

ويُنقل الملازم عبد الوهاب إلى القاهرة، والغيظ يتملكه.

عبد الوهاب: كم كنت مشتاقًا للرجوع إلى القاهرة، لكن ليس بهذه الطريقة، ويتم نقله.

«هناء» العقل عندها يرسم كل شيء بمقياس، عرفت أنَّ الرجال لا يقفون كثيرًا عند امرأة واحدة، كلها ملذات وشهوات أساسها الحرام، فلن تظل مرغوبًا فيها طويلاً، الكل يريد التجديد، وأنهم ما جاءوا إلا للاستمتاع أما البيوت فلها معادلات أخرى، وعليها أن تجد بديلاً تُسيِّر به أمور عملها.

اشترت ملهى ليليًّا في شارع «الهرم» أتت فيه بجميلة الجميلات في الرقص، والغناء، جعلت «لولا» و«دودي» الفتاتين اللتين تقودان الملهى، وجعلت لهما ميزانية مفتوحة، وجعلت من

الفتيات أصحاب المهام الصعبة، ومنهن دون ذلك عندها جيش جرار من الفتيات. تهادي الجميع في شققهم الخاصة أو العوامات، تسهر ليلتها ثم المبيت ثم تأتي بصيدها، وترمي شباك الفتيات الجميلات على آخر.

المهم ألا يهرب الصيد من الشباك، ذاع صيتها، وتخطت مَن كان قبلها. جلست على أعلى المقاعد. أعدت فرقًا للطوارئ، وصارت بمبدأ: «نحن نُظهر مصر في عيون العالم».

العمل يجري على قدم وساق. لا مجال عندها للخطأ أو النسيان، كأنها تعمل في اليابان. توغلت في العملات الأجنبية. شبكة مراسلين في كل مكان، معها فريقٌ للترجمة الفورية مع ما تمتلكه من مقومات اللغات الأخرى.

«إبراهيم مجاهد» تعقد له جلسات للمحاكمة، المحامي يعدهم بالبراءة، تلك مهنتهم مَن يشنق يقولون له براءة، إلا قليلاً منهم الذين يصدقون مع أنفسهم.

من جلسة إلى أخرى الحوار قائمٌ. النيابة تطالب بأقصى عقوبة.

المحامي يصر على براءة موكله، كل يبكي على ليلاه، الدفاع يقول: لم نجد في تاريخ البشرية مجرمًا لا يعلم مسرح الجريمة.

النيابة كل المجرمين يدعون البراءة.

ينتهي هذا الحوار إلى أن أطمأنت هيئة المحكمة إلى أنَّ «إبراهيم مجاهد» هو القاتل بناءً على الأوراق المقدَّمة إليها.

قضت القضية بتحويل أوراقه إلى فضيلة مفتي الديار المصرية.

ازداد البكاء على شهيد القطة، ماذا لو لم تتفق القطط.. هل هذه قضية تستحق التفكير فيها؟!

«إبراهيم مجاهد» يسمع الحكم، يقع مغشيًّا عليه، تحمله الإسعاف إلى المستشفى. يظل هناك فترة طويلة، ثم يطلب إخوته الذين جاءوا لزيارته على مضض وألم يوقف الكبد، ولكنه فراق الوداع على عمر قد ضاع لم تُـعرَف له قيمة، ولم يكن له فيه أية غنيمة.

يطلب منهم أن يرى الشيخ عبد العليم العوضي، يذهبون إلى الشيخ، فيأبى. مع إلحاح أهل الخير يذهب الشيخ لزيارته. يرتمي «إبراهيم مجاهد» على قدم الشيخ. يرفعه الشيخ من على الأرض ويقبله. تلك صفات الجمال في النفس الذكية، ويدعو له الشيخ أنْ يفك الله ضيقته، ويُفرج كربته، وارتاح «إبراهيم مجاهد» من حمل ثقيل كان على كتفه تجاه الشيخ الذي يدعو إلى الصلاة.

ويوصي«إبراهيم مجاهد» أولاده وإخوته بأنْ يعطوا الشيخ عبد العليم قيراط أرض مباني بجوار بيته من ملكه، وقال كونوا بصحبة هذا الشيخ العظيم، وذهب إلى زنزانته يناجي ربه يقول: اللهم ارحم عبدك الغشيم، وما كنش لئيم، وأخذ يصلي، والدموع لا تجف، والعينان ضارعتان إلى رب السماء، تناجيانه على استحياء لعلهما تجدان طوق النجاة، وينتظر الخلاص في أي وقت. ينظر إلى بدله الإعدام يقول:

«هو أنا عندي الحصبة ولا إيه؟! الحكومة مش عارفة إني كبرت ما عدتش تجيني الحصبة!» لا يعرف تلك البدلة. بدلة شاحبة اللون.

كلها أيام معدودات، تعلو بعدها الصيحات، صاحبها يصير إلى الرفات.

بخيت وفوزي وأشرف، الثلاثي المتشرد، صالوا وجالوا في السرقة تارة يُمسكَون بسرقاتهم، وتارة أخرى يمرون بها، إلى أن جاء الدور على «مفيد سرحان» ينام كل ليلة قريبًا من المواشي أو قد يكون معهم.

هو وإخوته العلاقة بينهم أذلية قديمة، لديهم مواشي كثيرة، ينامون على جدران الزريبة. يمر الثلاثي عليها كل يوم، وهم يقولون «ربنا اكتب لنا نصيب في هذا الصيد الثمين».

ولكن الصيد بعيد المنال، فقد أُغلقت الأبواب، ومَن يقترب ينال العذاب. قبضتهم قوية، ضربتهم غبية، إلى أن جاءت الفرصة، فهم يراقبون البيت عن كسب، فقد جاء الإخوة بأطنان من الأسمنت والحديد للبناء بها، ونام عليها «مفيد سرحان» ووُضعت الخطة للنيل من هذا الصيد الذي لا يعد ثمينًا لديهم، فهو يحتاج إلى مجهود مضنٍ، عربيتين وأنفار للنقل، لكن الإصرار يجعل الليل كالنهار.

جاءت الخطة أن يلبس «أشرف» ثياب امرأة مثل «نعناعة» زوجته، فهو جميل الوجه، رفيع الصوت، سمين الجسد، وينادي

على «مفيد» على أنه «نعناعة»، وينزله من على الأسمنت الذي ينام عليه، وسوف تتولى الجماعة نقل البضاعة، وبالفعل يفعل «أشرف» مثل الذي طُلب منه، وزيادة في فن الإجاده ينادى: مفيد.

يقول مفيد: وهو نائم مين إللي بينادي؟

أنا «نعناعة».

مفيد: لقد جئتِ في وقتك.

انزل من على الأسمنت، وتعالى تحت، وتحملُ القياس الذي ينام عليه إلى أسفل وتفرشه له، وينام بجوار «نعناعة»، ويضع يده عليها، ونام من العمل طوال اليوم حتى تم تحميل الأسمنت والحديد بالكامل، وإذا بأشرف يضع يد مفيد على الأرض.

مفيد يقربها إليه حتى يقتنصها ، فإذا به يستيقظ من نومه، ويمسك بثوب «نعناعة». انطلقت السيارات، وتركوا أشرف مع مفيد يُمسك به.

أشرف: نام شوية لما العيال تنام، وكلما أراد أشرف أن يتركه يمسك به.

أشرف: يا ولاد الكلب سايبني مع الحمار ده.

مفيد: والله ما أنا سايبك الليلة، دا إنتِ جيتِ في ميعادك. ويمد يده عليها، ويقول هو إنتِ تخنتِ كدا ليه؟! ويضمها عليه ويفتح عينيه، ويمد شفتيه حتى يكمل ما عليه، ويمسكها من أسفل

بساقيه. لم يبقَ إلا الدور النهائي حتى يصل إلى المربع الذهبي لديه.

أشرف يصرخ ويجرى، ومفيد يقول: «ها تروحي مني فين؟!»، ويجري خلفه، ويمسك به، وتتساقط الأقنعة!

عرفوه وأدخلوه في غرفة الخزنة التي يُخزِّن فيها علف المواشي، وانهالت عليه العائلة بالضرب، فهم أغشم من الحمير، وحملوه إلى المركز.

المباحث سخية عليه. اعترف هناك بما حدث، وأنَّ فوزي هو الذي قتل السعيد النحراوي.

ضابط المباحث: إزاي فوزي قتل السعيد النحراوي، والعصاية بتاعة «إبراهيم مجاهد» عليها دم القتيل؟!

قال: لقد مرَّ علينا رجل، ونحن في أرض القطن التي نختبئ فيها ووقع على الأرض، وترك عصاه، وأخذ العصاة التي ضرب بها فوزي، السعيد البحراوي على رأسه.

يتم القبض على فوزي وبخيت، وهما في المقابر، يشربان وبحوزتهما المخدرات. اعترفا بالسرقة والقتل.

جاء الإفراج على «إبراهيم مجاهد»، وعاد يشم نشوة الحياة، وحين خرج إلى الشارع يقع على الأرض يُحمَل على إثرها إلى المستشفى وجدوه فارق الحياة.

«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (الجمعة 8).

عاد إلى قريته ليُحمَل هذه المرة حملاً مرغمًا عليه لا رجوع ولا جدال. في جنازته يسير رضا ابن خاله فرحات، وأثناء سير الجنازة يعلو صوته بالبكاء. الصمت يخيم على الجميع. إذا برجل اسمه رمضان ابوسمرة من أهل القرية يسير في الجنازة يقول له اصبر فقد مات النبي، وإذا بصوته يعلو أكثر فأكثر، ويقول النبي مات يا رجالة، هو يعتقد أنَّ من يذهب إلى الحج يجد النبي صلى الله عليه وسلم يجلس هناك يصافح كل مَن يأتي إلى الحج!

يضحك جميع مَن أتى للعزاء على أناس لم يعرفوا إن كان النبي حيًّا أم ميتًّا، وهاننصر الإسلام؟!

عبد المعطي يظل مع عبد الرحمن يعملان معًا، حتى جاء يوم سقط عبد الرحمن على الأرض، يحمله عبد المعطي على كتفه إلى المستشفى.

ينصح الطبيب عبد الرحمن بالراحة التامة. يعود به عبد المعطي إلى بيته، وينتظر حتى يتعافى، فقد قال الطبيب إنه يعاني من مرض الكبد الوبائي، الكبد حالته متردية.

ظل عبد المعطي يبحث له عن عمل خفيف حتى وجد عمل جناييني في فيلا لرجل ثري اسمه «شريف بيه المنصوري»، وجاء عبد المعطي بعبد الرحمن، وعمل جناييني. مرت الأيام،

ويزداد المرض على عبد الرحمن. يدخل المستشفى ثلاثة أيام حتى توفي في المستشفى. يعود إلى بلده يوارى التراب، وجاءت النساء للعزاء جوهرة زوجة عبد الرحمن تقول: «كان يعاشرني مِنْ أُسبوع»، تضحك النساء، تحول العزاء إلى ضحك.

تقول: عبد الرحمن كان معايا.

قالت النساء: والله دي حكاية، دا باين هي إللي جابت آخرته، إللي عاوزة تموِّت زوجها تأخذ الوصفة من جوهرة موتته إزاي وهي صغيرة.

عاشت القرية في هذا الحديث كيف تكون عريسًا قبل أن تموت بدقائق أو أيام، وبعد شهرين تكتشف جوهرة أنها حامل.

وقفت القرية مذهولة، كأن جوهرة تقرأ الغيب، وتخشى حكم الناس عليها بعدم العفة، وهي أشرف من الشرف. عبد المعطي يأخذ كل شهر مبلغًا من المال الذي يتقاضاه، ويعطية للست جوهرة أرملة عبد الرحمن على سبيل أنه من شريف بيه، ويقول: الله يجازيك يا عبد الرحمن عامل راجل، وإنت خلصان!

حتى وضعت جوهرة مولودًا أسمته «سامي»، وأخذ يتردد مثلما كان يذهب في وجود عبد الرحمن. الحِملُ أصبح ثقيلاً ولا عائل، وهو زوج أختها رباب، التي أخذت في الغيرة من أختها جوهرة على عبد المعطي، فقد أنجبت «مروان» من عبد المعطي، ولا داعي للقلق لم يعد هناك الحرمان، ولم يعد هناك جوعان.

عبد المعطي: هو فيه واحده تغار من أختها؟!، دا أختها أصبحت من المحرمات عليَّ.

تقول رباب: أختي جوهرة ناعمة في الكلام، تسحب الرجالة سحب. ظل الوضع يتأرجح بين الشدة واللين حتى ذهبت جوهرة ذات مرة إلى فيلا شريف بيه تطلب منه مبلغًا من المال، حيث الأولاد في ضائقة لم يعطها شيئًا.

قالت له: المبلغ الذي ترسله كل شهر لينا ما عدش مكفي.

قال لها: لم أبعث شيئًا.

عرفت أنَّ المبلغ الذي يأتي إليها من عبد المعطي الذي يسعى على اليتامى، ومرت الأيام وغيرة رباب من أختها تزداد حتى كادت تحرق البيت على مَن فيه، حتى جاء مساء يوم وهو عند جوهرة، فتأتي زوجته، وتتهمه بأعلى صوتها بأنَّه يخونها مع أختها، وطعنتها في شرفها أمام الناس!

عبد المعطي يمسك فمها حتى لا يسمع الناس.

رباب ثارت كالبركان تقذف شظايا من النار، الجمهور يبدي أسفه، ويخفي فرحته. ذهب العقل. يُلقي عليها عبد المعطي الطلاق، ويطلقها بعد فترة ليست طويلة. يطلب عبد المعطي يد جوهرة للزواج قالت جوهرة: الناس راح تصدق كلام جوهرة!

عبد المعطي: الناس بتتكلم على الفاضيه والمليانه، ويلح في طلب الزواج توافق جوهرة على الزواج من عبد المعطي، مَن يعطي يستحق الحنان، أي مكان فلسنا في أرض النسيان.

وجاءوا لعقد الزواج، يسأله المأذون: «صنعتك إيه؟».

قال عبد المعطي: «مطلق»، ويخرج قسيمة الطلاق للمأذون.

يمتنع المأذون ويقف عن كتابة عقد الزواج، ويقول: «ما فيش جواز».

عبد المعطي: «ليه يا مولانا؟!».

المأذون: «حتى تنقضي عدة زوجتك القديمة».

عبد المعطي: «وأنا مالي ومالها».

المأذون: لأنها أخت زوجتك.

وهم عائدون في الطريق، جوهرة تقول لعبد المعطي ما ترجعها يا عبد المعطي، الناس كلها بتتعارك، ودول شوية زعل، ويرحوا لحالهم.

عبد المعطي : «والله ما هي راجعة على ذمتي أبدًا. كفاية الفضايح وسط الناس، وكفاية كلامهم عليكِ».

جوهرة: «أنا مسامحة، وكله عند ربنا».

عبد المعطي: «ربنا ما يرضاش بالظلم». حاولت جوهرة التي هي أغلى من الكنوز بكل الطرق حتى يعود عبد المعطي إلى

زوجته رباب أختها، لكنها مشاكل تراكمية عبر سنوات تحتاج إلى قلوب الملائكة حتى تغفر، وتصفح ورجعوا حتى انقضت عدة الطلاق، عُقد القران. احتضن عبد المعطي أولاد عبد الرحمن إلى قلبه، لتبدأ حياة جديدة مع مَن يرضى. الرضا نعمة لا يرضى بها إلا مَن كان عنده قناعة.

الملازم يسري ينتظر رد «دينا» عليه بالقبول أو الرفض.

المساعد عنتر يطلب من الملازم يسري البقاء حتى تنتهي السنة الدراسية، يترك الأمر معلقًا بين القبول والرفض.

الملازم عبد الوهاب يرى «هناء» في إشارة مرور مغلقة في الهرم، تقع عينه عليها، يراها بعين ثاقبة. يسرع بسيارته التي يقودها سائقٌ يرتدي ملابس الشرطة، ثم يقطع على تلك السيارة الفارهة الطريق، وتم إيقاف تلك السيارة. وجد الدكتور ناصر يقود السيارة، فأوقفهما.

سأل «هناء»: إنت طبعًا عارفاني؟

«هناء»: طبعًا عارفاك، وعارفة إهانتك ليا أنا وأهلي، ودي حاجة تتنسي؟!

الملازم عبد الوهاب: عارفة الآثار إللي بتهربوها خارج البلاد؟

«هناء»: دائمًا ظالمني يا بيه.

الدكتور ناصر: فيه حاجة يا حضرة الضابط ضيعت وقتنا.

الملازم عبد الوهاب يقوم بتفتيش السيارة لم يجد شيئًا.

الدكتور ناصر: فتشت السيارة بغير إذن، وبدأ يراقبهما بمعرفة زملائه.

«هناء»: هذا الضابط سيظل خلفنا ينبش في الماضي.

الدكتور ناصر ينقل كما نُقل من قبل. ينقل الملازم عبد الوهاب إلى الصعيد. ظل الملازم عبد الوهاب يتابع مع زملائه عن كسب حتى يئس الجميع.

علي أخو «هناء» ازداد في الإدمان حتى وصل إلى تعاطي الهيروين يُدخلونه مصحة لعلاج الإدمان. الفشل يصاحبه دائمًا، فلا قدرة له على تحمل العلاج، حتى أخذ جرعة كبيرة مات على إثرها.

«دينا» تخرج من الجامعة تصدمها سيارة تُنقل على إثرها إلى المستشفى تفارق الحياة، الكل بكى لفراقها، وسرعان ما عادت الحياة إلى مجرياتها. الملازم يسري يتقدم لخطبة سلوى بنت المساعد عنتر، والأستاذ رضا يخطب زميلته، ثم تمَّ الزواج في أسرع وقت، وينتقل إلى السكن في فيلا زوجته في المهندسين.

كارم ينهى دراسته. يريد الارتباط بحبيبته «هالة» التي يهواها قلبه، لكن والده يرفض بشدة. يترك البيت، ويستأجر شقة في شبرا يتزوج فيها من حبيبته، لكن سرعان ما وجد فارقًا كبيرًا بين حياة الزمالك وشبرا، ليس فقط في الناحية المادية، بل من الناحية الأدبية.

والده لا يعرف غير ما يريد. يكون بأي طريقة موجودًا بلا حدود. المساحات عنده واسعة. رأى والده ضرورة رجوعه بغير زوجته التي تزوجها رغم أنف الجميع.

جاء له بفيزا إلى فرنسا لتكملة دراسة الماجستير، والدكتوراة في «السربون». وافقته زوجته، فقد أصبحت حاملاً منه، بدأ رباط القلوب يكبر في الأحشاء، وهي توقن أنَّ هذه حيلة من أجل أن يأخذوا زوجها بعيدًا، لكنها كانت توقن أنَّ الحب هو الذي يبقى. سافر كارم يرافقه قلب حبيبته التي باع من أجلها الغالي والنفيس.

النقيب عبد الوهاب يعود إلى القاهرة بعد ترقيته، بتعليمات مشددة ألا يقترب من عش الدبابير.

في قرية صندلا مجموعة من الشباب يحفرون يبحثون عن الذهب الذي أصاب الناس بالهوس. تطبق الحفرة على عشرة من الشباب، وتتحول إلى قضية رأي عام، لم يجد وزير الداخلية إلا دعوة النقيب عبد الوهاب ليتولى هذا الملف. يتمكن النقيب عبد الوهاب مع نخبة من زملائه الأكفاء من القبض على «هناء»، والدكتور ناصر.

يحكم على «هناء» بالسجن عشر سنوات، والدكتور ناصر ثماني سنوات، لتظل عيون العدالة ساهرة على أمن هذا البلد.. مهما انتصر الظلم لابد من ظهور الحق.

الحق باقٍ ينير الدنيا تستمتع به العيون المبصرة حراس الوطن.

عاد كارم إلى القاهرة، إلى بيته، إلى شبرا الجميلة النابضة بالحياة، إلى زوجته وولده، يقول مصر أعظم البلاد. الغرب سبقونا علميًّا لكن سوف نعد العدة، ونلحق بهم مع احتفاظنا بقيمنا الأصيلة لا بديل لنا إلا النهوض بالتعليم. الشعب المتعلم يكون دائمًا في عصمة من الأنواء.

رأى زاهر أن يرد إلى فريج ما فعله به، عن طريق «فيفي» أخت فريج التي كبرت في السن. أخذ زاهر يغدق عليها المال، ويعدها بالزواج على زوجته حتى أخذها إلى مخبئه، وقام بتصويرها، وهي عارية وهو يكشف عن سوْأَته معها، أرسلها إلى فريج على الفيس في الخاص.

ظن فريج أنه أرسلها إلى الجميع.

فريج مدرس الكمبيوتر: يُحمِّل جميع المقاطع، التي لديه، على النت، فلم يخلُ القرية من الإساءة إلا القليل. قامت القرية وقتلت الحلاق وابنه معًا، وقُتل فريج مدرس الكمبيوتر، وطلق عددٌ غير يسير من أهل القرية، وبقيت لعنة أولاد الحلاق تطارد الباقين الذين أُجبروا على أن يتركوا القرية بعد ذلك.

==========

ملاحظات

أ- تكرار اسم شخصية «عثمان كامل» مرتين.

الأولى: الصول عثمان كامل.

الثانية: الطبيب عثمان كامل.